

..وانطلقت المدافع عند الظهر

اللواء: محمد عبد الحليم أبو غزالة


الهيئة المصرية العامة للكتاب

إنسانيات

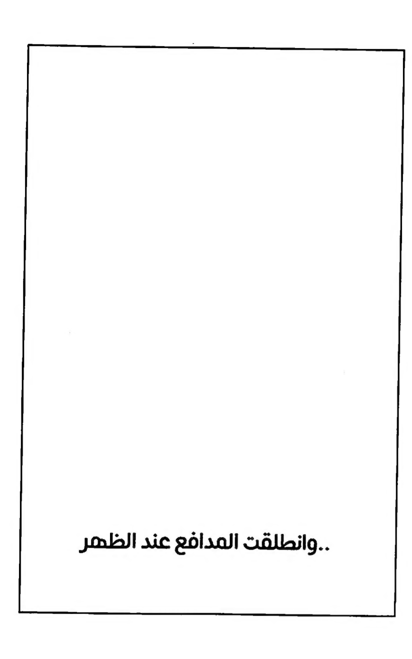
سلسلة تعنى بنشر الحقول المعرفية التى تهتم بدراسة الإنسان وتاريخه وطبيعته وبيئته وقدراته الإدراكية وواقعه الاجتماعى والثقافى والسياسى، بالإضافة إلى النواحى المختلفة من النشاط البشرى وما ينشغل به البشر من إشكاليات حياتهم ومجتمعهم، وأنساق ثقافاتهم وقيمهم فى علوم مختلفة مثل: التاريخ والفلسفة والأنثروبولوجيا والاقتصاد والنقد الأدبى والقوانين والتشريع والعلوم السياسية إلى غيرها من المعارف العامة التى يترقبها المتلقى ويحرص على متابعتها لتساعده فى تكوين مرجعيته الثقافية العامة.

ISBN# 9789774484773



٣ جنيها




..وانطلقت المدافع عند الظهر



تنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

..وانطلقت المدافع عند الظهر

اللواء: محمد عبد الحليم أبو غزالة



أبو غزالة ، محمد الحليم.
وانطلقت المدافع عند الظهر/ محمد عبد الحليم أبو غزالة .ـ
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٣.
١٧٦ ص ، ٢٠سم ـ (الأسرة إنسانيات)
تدمك ٣ - ٤٧٧ - ٤٤٨ - ٩٧٧ - ٩٧٨.
١ـ مصر ـ تاريخ ـ أنور السادات (١٩٧١ ـ ١٩٨١) .
٢ ـ المدفعية.
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٣/١٤٢٣٣
I.S.B.N 978- 977- 448-477-3
ديوى ٩٦٢,٠٧١

توطئة

مشروع له تاريخ

مشروع «القراءة للجميع» أى حلم توفير مكتبة لكل أسرة، سمعنا به أول مرة من رائدنا الكبير الراحل توفيق الحكيم.

وكان قد عبر عن ذلك فى حوار أجراه معه الكاتب الصحفى منير عامر فى مجلة «صباح الخير» مطلع ستينيات القرن الماضى، أى قبل خمسين عامًا من الآن.

كان الحكيم إذًا هو صاحب الحلم، وليس بوسع أحد آخر، أن يدعى غير ذلك.

وهو، جريًا على عادته الخلاقة فى مباشرة الأحلام، تمنى أن يأتى اليوم الذى يرى فيه جموعًا من الحمير النظيفة المطهمة، وهى تجر عربات الكارو الخشبية الصغيرة، تجوب الشوارع، وتتخذ مواقعها عند نواصى ميادين المحروسة، وباحات المدارس والجامعات، وهى محملة بالكتب الرائعة والميسورة، شأنها فى ذلك شأن مثيلاتها من حاملات الخضر وحبات الفاكهة.

ثم رحل الحكيم مكتفيا بحلمه.

وفى ثمانينيات القرن الماضى عاود شاعرنا الكبير الراحل صلاح عبد الصبور التذكير بهذا الحلم القديم، وفى التسعينيات من نفس القرن، تولى الدكتور سمير سرحان تنفيذه تحت رعاية السيدة زوجة الرئيس السابق. هكذا حظى المشروع بدعم مالى كبير، ساهمت فيه، ضمن من ساهم، جهات حكومية عدة، وخلال عقدين كاملين صدرت عنه مجموعة هائلة من الكتب، بينها مؤلفات ثمينة يجب أن نشكر كل من قاموا باختيارها، إلا أنه للحقيقة ليس

غير، حفل بكتب أخرى مراعاة لخاطر البعض، وترضية للآخر، ثم أن المشروع أنعش الكثير من متطلبات دور النشر، بل اصطنع بعضها أحيانًا.

وبعد ثورة ٢٥يناير والتغيرات التى طرأت توقفت كل الجهات الداعمة لهذا المشروع الثقافى عن الوفاء بأى دعم كانت تحمست له عبر عقدين ماضيين، سواء كان هذه الجهات من هنا، أم كانت من هناك.

ولم يكن أمام اللجنة إلا مضاعفة التدقيق فى كل عنوان تختار، وسيطر هاجس الإمكانات المحدودة التى أخبرتنا بها الهيئة فى كل آن.

والآن لم يبق إلا أن نقول بأن هذه اللجنة كانت وضعت لنفسها معيارًا موجزًا:

جودة الكتاب أولاً، ومدى تلبيته، أولاً أيضًا، لاحتياج قارئ شغوف بأن يعرف، ويستمتع، وأن ينمى إحساسه بالبشر، وبالعالم الذى يعيش فيه.

واللجنة لم تحد عن هذا المعيار أبدًا، لم تشغل نفسها لا بكاتب، ولا بدار نشر، ولا بأى نوع من أنواع الترضية أو الإنعاش، إن لم يكن بسبب التربية الحسنة، فهو بسبب من ضيق ذات اليد.

لقد انشغلنا طيلة الوقت بهذا القارئ الذى انشغل به قديمًا، مولانا الحكيم.

لا نزعم، طبعًا، أن اختياراتنا هى الأمثل، فاختيار كتاب تظنه جيدًا يعنى أنك تركت آخر هو الأفضل دائمًا، وهى مشكلة لن يكون لها من حل أبدًا. لماذا؟

لأنه ليس هناك أكثر من الكتب الرائعة، ميراث البشرية العظيم، والباقى.

إبراهيم أصلان

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أدت المدفعية المصرية دورها فى حرب العاشر من رمضان ـ وكما أدته فى جميع المعارك التى خاضتها فى ماضيها وحاضرها ـ على أكمل ما يكون الأداء، وكما سوف تؤديه فى مستقبلها.

إن المهام التى حققتها المدفعية خلال مراحل المعركة المختلفة منذ عام ١٩٦٧ فى مرحلة الصد والردع والاستنزاف واقتحام القناة والاستيلاء على رؤوس الكبارى كانت مهام خطيرة وبدأت المعركة بتمهيدها النيرانى وفرضت إرادتها كاملة على أرض القتال ومكنت مشاتنا ومدرعاتنا من تحقيق أهدافها. وكان للمدفعية اليد الطولى ولا تزال فى ردع العدو فى عمق أعماقه.

لقد تدافع رجال المدفعية لتأدية واجبهم، واستشهد منهم من استشهد وهو يقاتل على مدفعه لم يتركه قط حتى ذاق الممات يحدوهم فى ذلك تقاليدهم وأصالتهم، إننا نحييهم رجالا آمنوا بوطنهم وثورتهم وبحقهم فى حياة حرة كريمة.

أنور السادات



وانطلقت المدافع عند الظهر
المدفعية المصرية من خلال حرب رمضان



بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أدت المدفعية المصرية دورها في حرب العاشر من رمضان — وكما أدته في جميع المعارك التي خاضتها في ماضيها وحاضرها — على أكمل ما يكون الأداء ، وكما سوف تؤديه في مستقبلها .

إن المهام التي حققتها المدفعية خلال مراحل المعركة المختلفة منذ عام ١٩٦٧ في مرحلة الصمود والردع والاستنزاف واقتحام القناة والاستيلاء على رؤوس الكباري كانت مهام خطيرة وبدأت المعركة بتمهيدها النيراني وفرضت إرادتها كاملة على أرض القتال ومكنت قواتنا ومدرعاتنا من تحقيق أهدافها . وكان للمدفعية الدور الطولي ولا تزال في ردع العدو في عمق أعماقه .

لقد تدافع رجال المدفعية لتأدية واجبهم ، واستشهد منهم من استشهد وهو يقاتل على مدفعه لم يتركه قط حتى ذاق الممات بجودهم في ذلك تقاليدهم وأصالتهم .

إننا نحييهم رجالا آمنوا بوطنهم وثورتهم ومجتمعهم في حياة حرة كريمة .

أنور السادات



تقديم:
الفريق محمد سعيد الماحى

«إن المدفعية المصرية الرهيبة لعبت أخطر الأدوار».

بهذه الكلمات الواضحة الحاسمة وصف صانع القرار الخطير لحرب أكتوبر الرئيس محمد أنور السادات ما قامت به المدفعية فى هذه الحرب.

لقد كانت المدفعية دائماً وفى كل الحروب التى خاضتها القوات المسلحة المصرية عبر التاريخ كانت صاحبة الدور الرئيسى فيها، وذلك محصلة عمل شاق وجاد لم يمتد خلال أيام أو شهور ولكنه امتد عبر سنين وقرون.

ولقد اتصف رجال المدفعية دائماً بالشجاعة والأصالة والرجولة وورثوها جيلاً بعد جيل. ومن هؤلاء الرجال «أبو غزالة» كاتب هذه الفصول.

امتدت معرفتى به سنين طويلة. عرفته شاباً متحمساً وطنياً مخلصاً. كان من منجزى ثورة ٢٣ يوليو ونهل من مناهل العلم والمعرفة وخبر فنون المدفعية بمدارسها المختلفة وبرز فيها. وتمرس فى مناصبها صغيرها وكبيرها فكان القائد الصغير الطموح وكان المعلم الفذ صاحب المدرسة. وتوج ذلك كله بشجاعته وإقدامه خلال معارك ٦ أكتوبر وأثبت فيها أصالة الجندى المصرى.

كان لشجاعته وشخصيته ثباته خلال فترة من أحلك فترات القتال حين كادت السيطرة على القوات أن تضيع - تمكن من فرض سيطرته على هذه القوات فتماسكت وثبتت ودمرت العدو وردته على أعقابه.

حين يتحدث أبو غزالة عن المدفعية فى ٦ أكتوبر فإنما يتحدث عنها حديث الرجل المجرب والقائد المتمرس الذى اشترك فيها خطوة خطوة ومرحلة مرحلة فى التخطيط والتدريب والتنفيذ. فأداها بنفسه فى مسرح القتال فهو بذلك يتحدث من موقع المشاركة الفعلية ومن موقع القيادة والمسئولية.

وهو بذلك حديث الصادق الأمين.



آلــــة الحــرب
المدفعية المصرية الحديثة
تاريخ مشرف
الفخر ـ المجــد ـ الشرف



اعترافات

«انتهت خرافة تقول بأن العرب ليسوا محاربين... لقد طمست حرب ١٩٦٧ من ذاكرة العالم أن المحاربين العرب نشروا يوماً ما دعوة الإسلام فى نصف العالم المتحضر».

النيوزويك

«برهن المصريون على مقدرة جنودهم على القتال... وقدرة ضباطهم على القيادة... وقدرتهم على استخدام أحدث الأسلحة».

صحيفة التايمز البريطانية

١٦ أكتوبر ١٩٧٣

«اعترف الجنرال هرتزوج المعلق العسكرى الإسرائيلى للإذاعة العبرية بأنه للمرة الأولى منذ عام ١٩٤٨ يخوض الجيش الإسرائيلى حرباً دفاعية. وقال أن المعركة ليست سهلة وستكلفنا ضحايا بأعداد كبيرة».

٧ أكتوبر ١٩٧٣

«قال الجنرال شمويل جونين قائد الجبهة الجنوبية: «أنه يبدو أن حجم القوات ضخم وعملية الهجوم ضخمة والعتاد ضخم والمدفعية المضادة للدبابات ضخمة».

ى ب ٠ ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣

أكد أحد القادة الإسرائيليين الذى كان مسئولاً عن خط بارليف لمجلة شيتون الألمانية الغربية أن المدفعية المصرية صبت على هذا الخط كمية غزيرة من النيران بصورة لم يشهدها من قبل على الإطلاق. وأضاف يقول: «إننى أعتقد أن الجندى الإسرائيلى قد أذهلته المفاجأة ولم يفهم حقيقة ما حدث».

ى ب ٠ ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣

تصريحات أهارون يليريف :

«أنه حتى الآن وخلال ثلاثة أيام ونصف من القتال لم يتول الأجانب أى قيادة للقوات العربية ولكن تضاعف أثرهم بما لديهم من معدات حيث أصبحوا يشكلون عبئاً ثقيلاً على إسرائيل».

أ س تل أبيب ٩ / ١٠

قال روبرت ستيفنز يعرض آراء العسكريين الإنجليز فى صحيفة الأوبزرفر البريطانية فى ٢١ / ١٠ / ٧٣ :

«أن خبيرا عسكرياً بريطانياً بارزاً هو البريجادير كينيت هانت نائب مدير المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية :

يعتقد أن حرب الشرق الأوسط قد غيرت بالفعل أفكاراً عديدة عن التوازن بين الطائرات المقاتلة والدفاع الجوى، وبين الدبابات ووسائل المدفعية المضادة لها . لقد واجهت السيطرة التى تمتع السلاح الجوى الإسرائيلى تحدياً خطيراً من جانب الصواريخ العربية كما أصبح تفوق الدبابات الإسرائيلية فى المعركة موضع شك كبير».

بعث الضابط آموس برسالة إلى زوجته جاء فيها :

«إذا كانت قد كتبت لى النجاة فى تلك الليلة (ليلة ١٨ أكتوبر ١٩٧٣) فإن ما حدث كان معجزة، ذلك أن القذائف المصرية لم تكف عن تدمير تجمعاتنا ومواقعنا طوال الليل، إننى لا أستطيع أن أفهم كيف نجوت مع بعض الجنود من هذا الجحيم».

(كتاب حرب كيبور)

الباب الأول
من صفحات التاريخ



١ـ المدفعية فى العهود القديمة

منذ أكثر من ألفى عام كانت توجد المنجنيقات، التى تعتبر أساس المدافع الحديثة، ولكنها كانت ضخمة جداً، الأمر الذى جعلها تستخدم أساساً فى الحصار وفى الدفاع عن الحصون. وكانت الحصون فى ذلك الوقت عبارة عن مدن تحاط بأسوار عالية جدرانها حجرية سميكة كما تحاط أيضاً بخنادق عميقة.

وكان المدافعون المحاصرون يتحصنون داخل المدينة فى حين حاول القائمون بالحصار مهاجمة الحصن للاستيلاء عليه وكثيراً ما كان الهجوم يتم ليلاً حتى يمكن استخدام الظلام للوصول إلى جدران سور المدينة خفية وتسلق هذا السور ومفاجأة المحاصرين، ولهذا الغرض كان المقاتلون يحملون سلالم متنقلة طويلة وذلك لوضعها على الأسوار وتسلقها.

وإذا كان المحاصرون حذرين فإن الهجوم غالباً ما يفشل وذلك لتوافر ميزة هامة للمحاصرين ألا وهى أنهم كانوا قادرين على ضرب المهاجمين المكشوفين فى الوقت الذى توفرت لهم السواتر التى تحميهم (تحت ستر الأسوار والأبراج). فأثناء تسلق المهاجمين السلالم كان المدافعون يلقون الحجارة عليهم ويرموهم بالسهام والرماح وسكب القار المغلى والكبريت عليهم ومن يتمكن بالرغم من ذلك من الوصول إلى أعلى الحائط يقابل بالسيف ويلقى خارج السور.

وأحياناً يقوم المهاجمون بتكرار الهجوم، ولكن كثيراً ما تكون الخسائر من الكبر بحيث يتردد القائد فى معاودة الهجوم.

ونظراً لطبيعة أسلحة الهجوم فى ذلك الوقت فلقد جعلت الحوائط الحجرية (الأسوار) من المدن حصوناً لا يمكن أن تنثلم، ولما كانت المدن فى

حد ذاتها هى الهدف الرئيسى للمهاجم فكثيراً ما فشلت أكبر الجيوش وأشجعها فى الاستيلاء على بلد حصينة. لذلك فكثيراً ما لجأ الطرف المهاجم إلى القيام بحصار المدينة والقيام بعمل ثغرات فى أسوار المدينة ثم الاندفاع داخل المدينة خلال هذه الثغرات.

ولما كانت السيوف والرماح لا يمكنها اختراق الحوائط، تطلب الأمر وجود أسلحة خاصة للقيام بهذا العمل وهنا ظهرت المنجنيقات. وعليه فطوال أيام الحصار العديدة كان المهاجمون يقومون بسحب طوابير من العربات المحملة بكتل خشبية ومواد أخرى كثيرة خاصة بالبناء أو أجزاء من المنجنيقات التى يتطلب الأمر حين نقلها فكها إلى أجزاء نظراً لضخامتها. وحين وصول هذه الأشياء إلى مكان الحصار يبدأ عمل النجارين. وتمر أيام غير قليلة قبل أن تتم صناعة أو تجميع هذه المنجنيقات.

بعد ذلك عندما تكون المنجنيقات جاهزة يخصص للعمل على كل منها عدد من المقاتلين الذين يقومون بتجهيزها للإطلاق، وبعد مجهود طويل ومضن تصبح الآلة (المنجانيق) جاهزة للعمل. وكانت كل آلة تقذف كتلاً خشبية أو كتلاً حجرية ثقيلة تزن كل منها ٤٠ ـ ٥٠ كيلو جرام. وعليه كانت الأحجار والكتل الخشبية تنطلق لتتساقط على المدينة المحاصرة فتصطدم بجدار السور وتفتت أجزاؤه جزءاً بعد جزء فى حين ينطلق البعض الآخر ماراً فوق السور ليتساقط داخل المدينة محدثاً تدميراً فى أسقف المنازل وقتل السكان.

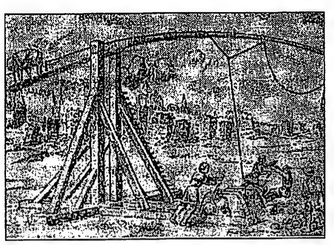
ما هى تلك المنجنيقات؟

وكيف كانت تبنى؟

لقد كانت المنجنيقات التى استخدمت فى الأزمنة الغابرة تشبه المقلاع

(النبلة) الذى يستخدمه الأطفال فى قذف الحجارة أثناء لعبهم. ولكن كانت هذه القواذف (المقاليع) من كبر الحجم بحيث كان يلزم لنقل الكتل الخشبية واللازمة لبناء قاذف واحد عدد من العربات وبدلاً من القطع الخشبية التى يصنع منها المقلاع للأطفال يستعاض عنها بحزم قوية من الحديد وأعمدة يتم غرسها فى الأرض بواسطة آلة رافعة ثم يقوم المقاتلون بسحب (بلف) حبل سميك طرفه مثبت فى طوقين. وهذه الأطواق (الحلقات) تثبت أو تركب فى حبال ملوية أو أوتاد.

وبواسطة الرافعة يجهز المنجانيق للضرب ويثبت فى وضع التعمير بواسطة خطاف ثم بَعد ذلك يعمر بحجر أو كتلة خشبية (شكل ١) ويشد المانع.



شكل (١) كيفية تجهيز برج مهاجمة الحصون للضرب

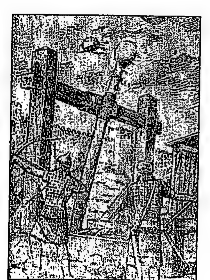
إن الضفيرة من الحبال التى يتم ليها بشدة تحاول أن تعود لوضعها الأول عند تركها فتدور بسرعة مديرة معها الأطواق. عندما تفك الحبال من الرافعة فيندفع الحجر أو الكتلة الخشبية بقوة منطلقة لمسافة ٢٠٠ ـ ٣٠٠ متر.

هذه هى القواذف التى كانت تستخدم فى العهود الغابرة كما استخدامها الأشوريون ثم تبعهم فى استخدامها اليونانيون والرومانيون وكثير من الأمم القديمة.

ولقد كانت هنالك أنواع وأشكال أخرى من القواذف (المنجنيقات) أطلق عليها العرادة (القذافة الحربية القديمة، المنجانيق) ويطلق عليها بلغة العراق النبلة الصيادة وكانت قاعدة هذا القاذف عبارة عن إطار (برواز) مصنوع من عروق خشبية سميكة عليه قائمان سميكان وعارضة، يذكراننا بالبوابة، وتدخل النهاية السفلى للعرق الخشبى ـ الذى يعمل كرافعة لقذف الحجارة الثقيلة ـ فى ضفيرة الحبال الملوية، أما الطرف العلوى للرافعة فلقد كان يأخذ شكل الملعقة.

وبواسطة آلة رافعة يسحب الطرف العلوى للرافعة لأسفل حتى يقترب من الأرض ثم يوضع الحجر (أى يصير تعمير القاذف) ثم تحرر الرافعة من الآلة الرافعة فتدور الضفيرة (الحبال الملوية) بسرعة الأمر الذى يسبب إدارة الرافعة، فيرتفع طرفها (الذى على شكل الملعقة) بسرعة ويصطدم بقوة كبيرة فى العارضة ـ وبذلك تنطلق الدانة الحجرية من الملعقة (شكل٢). وكانت قوة الصدمة من الكبر بحيث يمكن للحجر أن يطير لمسافة عدة مئات من الأمتار.

وطوال مدة القصف هذه يقوم المهاجمون بنقل وردم الخندق الذى يحيط بسور المدينة المحاصرة فى حين يقوم المدافعون بقذف المهاجمين



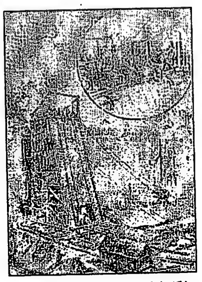
شكل (٢) الضرب بالمنجانيق (القذافة الحربية القديمة)

القائمين بهذا العمل بواسطة الحجارة كما يصبون عليهم القار المغلى من أعلى الأسوار، وكان المهاجمون يتقون بذلك بواسطة مظلات خشبية خاصة مركبة على عجل وكذا تحت مظلات خشبية طويلة لا تعوقهم أثناء العمل وبهذا فكثيرا ما نجح المهاجمون فى عمل ممر عبر الخندق طوله مائة متر وعرضه عشرون متراً.

وبعد جهد طويل وخسائر كبيرة فى القوة البشرية يقوم المقاتلون والعبيد بدفع الأبراج الضخمة على الممر. وكان ارتفاع هذه الأبراج يصل إلى حوالى خمسة أو ثمانية أدوار (حوالى ـ ٢٠ ـ ٢٥ متراً).

وبمجرد وصول البرج إلى جانب جدران سور المدينة المحاصرة يبدأ المقاتلون الموجودون فى الأدوار السفلى من البرج فى دفع كتلة كبيرة

خشبية معلقة فى نقطتى ارتكاز (محورين) وبقوة كبيرة لتضرب الحائط بمقدمها الذى ينتهى بطرف معدنى.



شكل (٣) برج حصار وصل إلى حائط المدينة المحاصرة فى الدور السفلى من البرج يضرب المقاتلون الحائط بأداة حربية تستخدم لنطح السفن وذلك لعمل ثقب فى الحائط. وفى الدائرة الموجودة فى الشكل (أعلى ولليمين تبين السطح العلوى للبرج وعليه بعض المنجنيقات الصغيرة تعمل على طرد المدافعين بعيدا عن السور).

وهكذا تعمل الأداة الحربية التى تشبه تلك التى تستخدم لنطح السفن وتظل هذه الآلة تضرب السور حتى يتم عمل ثقب (ممر) خلاله .

ويحاول المدافعون حرق هذه الأبراج وذلك بسكب قار مغلى على هذه الأبراج ، وكثيرا ما نجح المدافعون فى ذلك ، وعندئذ كان على المهاجمين أن يقوموا ببناء أبراج أخرى جديدة .

وعموماً ففى الأزمان الغابرة نجح المهاجمون فى حفظ أبراج الحصار من الحريق وذلك بتبطين البرج من ثلاث جهات برقائق من الصلب أو النحاس وبذلك أصبح إشعال هذه الأبراج أمر بالغ الصعوبة ، ولقد استخدم الصليبيون فى غزواتهم للشرق الأوسط العربى أبراجاً من هذا القبيل وبهذا تمكنوا لفترة ما من الحصول على انتصارات على الجانب العربى حتى تمكن العرب من اختراع النيران السائلة أو كما سميت فى بعض كتب التاريخ بالنيران الإغريقية وبهذا تمكنوا من التغلب على هذه الأبراج التى كانت تمثل خطراً داهماً على المدن المدافعة .

وهذا ولقد جهز السطح العلوى للأبراج بالمنجانيقات والقواذف الصغيرة وهى نسخ من شقيقاتها الضخمة (شكل ٣) . وكان واجب هذه المدفعية الخفيفة ضرب قلب المدينة المحاصرة .

وكان مثل هذا الحصار يستغرق عدة أسابيع عادة بل وعدة أشهر ، فتصبح الحياة فى المدينة غير محتملة فالحجارة تتطاير هنا وهناك فتدمر المنازل ويقاسى السكان من الحرمان نتيجة للنقص فى المؤن وكثيراً ما بنى المهاجمون السدود لمنع المياه من الوصول إلى المدينة المحاصرة .

وبمرور الوقت تبدأ جدران الأسوار فى التصدع تحت ضربات أداة الطرق ، وفى النهاية يقرر قائد الجيش القيام بهجوم حاسم وفى ذلك الوقت كان المهاجمون يستخدمون بعض عناصر المفاجأة المستحدثة وذلك بقذف

براميل مملوءة بالمواد التى يحدث من اشتعالها دخان وحرائق (الدانات الحارقة للأزمنة الغابرة) - فتنتشر الحرائق فى المدينة مع إنتاج دخان كثيف فى أنحائها.

وبالقصفات التالية تردم المدينة بمئات من قطع الحجارة ثم يندفع المهاجمون مطلقين صيحات ويتسلقون الأسوار عن طريق الأبراج وبواسطة السلالم. وإذا لم يتمكن المدافعون من المقاومة فإن المهاجمين يحتلون المدينة.

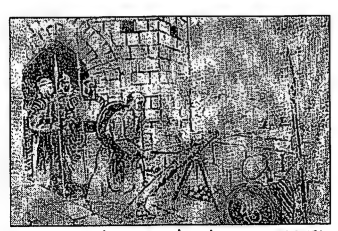
وأثناء المعركة الطاحنة داخل المدينة المقتحمة يبذل السكان كل غال ورخيص للدفاع عن أرواحهم لمعرفتهم بالمصير المظلم الذى ينتظرهم ألا وهو العبودية أو الموت.

متى ظهر المدفع لأول مرة؟

ومرت مئات السنون قبل أن تتغير الطرق المتبعة فى الحصار وفى الدفاع عن الحصون وكان للقرن الرابع عشر نصيب كبير فى هذا المضمار، ففى هذا القرن ظهر خلف أسوار المدينة سلاح جديد غير مزود بونش (آلة رافعة) ولا بروافع ثقيلة ولا تتطلب صناعته عمل عشرات النجارين. وكل ما يتكون منه هذا السلاح (القاذف) ماسورة وسبية (شكل ٤). يوضع فى الماسورة شيء ما، ثم يقترب من هذه الماسورة شخص واحد فقط، ولا يقوم هذا الشخص بسحب أو شد ما كنا تعودنا أن نرى فى المنجانيق وإنما يقرب من الماسورة عصا من الحديد فى طرفها لهب - ويرتفع فجأة صوت كالرعد ويندفع من الماسورة لهب ودخان وتنطلق منها كرة من الحديد.

«أن هذا العمل من أعمال السحرة» - هكذا كان يفكر الناس الذين كانوا يؤمنون بالشعوذة. ماذا يدفع الكرة طالما لا توجد فى السلاح أية

روافع؟ لا شك أنه الشيطان! يا الله، وكيف إذا يمكن محاربة قوى الشيطان؟



شكل (٤) المدفع العربي - أحد الأسلحة النارية الأولى - جاهز للضرب بواسطة عود من القنب المشتعل يقوم صانع الأسلحة بالضرب

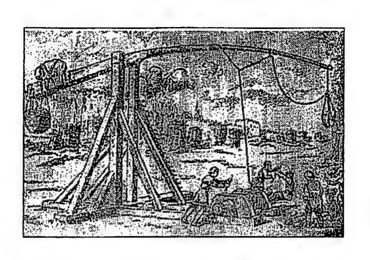
أما الجنود الذين قابلوا هذا السلاح الجديد لأول مرة فقد فروا من الرعب طلباً للنجاة. ولقد حدثت بعض الحوادث التي تظهر لنا الآن أنها أشياء مضحكة. فعلى سبيل المثال أثناء حصار المدينة الأسبانية التي كانت في ذلك الوقت في يد العرب حاول القساوسة الكاثوليك طرد «القوى الغير طاهرة (على حد تعبيرهم) بالصلاة، والتلويح بالصلبان وكذا برش المياه المقدسة ثم بعد ذلك فقط قام الجنود الأسبان بمعاودة الهجوم». ولكن «القوى الغير طاهرة لم تجزع من الصلاة ولم تطردها الصلبان. وعاود السحرة الذهاب إلى الأسلحة وكل منهم يحمل عوداً مشتعلاً ومرة أخرى ينطلق من المواسير نار ودخان مع صوت كالرعد وتتساقط على المهاجمين

الكرات (القذائف) فتقتل من الجنود من تصبه ومن لم يصب يفر طلباً للنجاة». وقرر الأسبان عدم محاربة تلك القوة المجهولة وانسحب الجنود الملكيون بعيدا عن المدينة، ولم تتمكن أية قوة أن تجعلهم يعاودون الهجوم مرة أخرى. بعد هذه الحادثة انتشرت الأنباء المقلقة في أنحاء أوروبا عن القوة المجهولة التي تقذف القذائف محدثة رعداً وصوتاً ودخاناً ولهباً لا تعرف الرحمة ولا تخاف الصليب. وأسرعت الكنائس الكاثوليكية في صب اللعنات على السلاح الشيطاني الجديد.

ولكن كان هناك التجار الذين جابوا كثيراً من البلدان ـ فقاموا بتوضيح الامر لمواطنيهم وتعريفهم بأنه لا توجد هنالك أية معجزة أو سحر في الموضوع وأن الصينيين قد اكتشفوا من قديم الزمان أنه لو تم خلط نترات البوتاسيوم بالفحم وتقريب أى لهب من هذا المخلوط فسيشتعل المخلوط بسرعة مولداً دخاناً كثيراً. ولقد صنع الصينيون منذ القدم هذا المخلوط وأشعلوه في الأعياد طلباً للمرح واللهو ثم وضع المقاتلون العرب هذا المخلوط في أنبوب (ماسورة) واستخدموه كمادة قاذفة تدفع المقذوفات إلى مسافات ما وشيئاً فشيئاً بدأت صناعة هذه الأسلحة بواسطة الأوروبيين.

السلاح خطير على مستخدميه:

ولكن ظل هذا السلاح معيباً لمدة طويلة ولذلك فإنه عند محاصرة مدينة ما فإلى جانب الأسلحة النارية كانت تجلب أيضاً القواذف القديمة المعروفة منذ قديم الزمان (المنجنيقات) وكان هذا المشهد مألوفاً في القرن الخامس عشر فغير بعيد عن حائط المدينة المحاصرة يقف القاذف ذو المنظر الكئيب الذى يشبه المقلاح (شكل٥) والكبير الشبه بالشادوف الذى يستخدم في جلب المياه من الآبار.



شكل (٥) المقدع الكبير وهو يجهز لقذف دانته على المدينة المحاصرة

ويوجد على الذراع القصير من الشادوف ثقل كبير. ويبذل عدد من الاشخاص جهداً كبيراً فى رفع هذا الثقل إلى أعلى وضع له. وعلى الذراع الطويل يتم وضع الحجر فى الأنشوطة (الخية) ثم يحرر الشادوف فجأة فيدفع الثقل الذراع القصير لأسفل ويرتفع الذراع الطويل بسرعة لأعلى ويقذف الحجر فجأة لأعلى. كان المنجانيق الذى على شكل شادوف كبير الحجم وقبيح المنظر إذا ما قورن بالمنجنيقات التى استخدمت فى العصور القديمة ، هذا إلى جانب أنه كان أضعف منها ولذلك كان يقذف حجارة زنة عشرين كيلو جرام لمسافة ١٥٠ متر فقط.



شكل (٦) تعمير المدفع الكبير

وليس بعيدا عن هذا المنجانيق الذى يشبه الشادوف كانت توضع الأسلحة النارية ـ المدفع الكبير (شكل ٦). وهو عبارة عن ماسورة سميكة حديدية مصنوعة من شرائط من الحديد وتوضع وتثبت مثل هذه الماسورة فى كتلة خشبية بواسطة سلاسل من الحديد.

والجزء الخلفى من الماسورة الذى يمكن فصله عنها به منيم توضع فيه عجينة لزجة من البارود. ثم يعمر المدفع بعد ذلك بكرة من الحجر ويركب الجزء الخلفى (القاعدة) بالماسورة ويشحم الخلوص بين هذه القاعدة والماسورة بواسطة الطفل (الصلصال لم تثبت القاعدة بالماسورة بواسطة خابور ثم يوضع خلف القاعدة مصد (عرق خشب) حتى لا تقذف القاعدة بعيدا عند الضرب. وفى النهاية يوضع فى فتحة القاعدة فتيل طويل يتم

إشعاله بواسطة عصا من الصلب محماة أو طرفها به لهب. ولقد كانت فى هذه المدافع عيوب مختلفة فكان الحديد الذى تصنع منه جدران الماسورة غير قوى فحدث أن انفجرت عدة مدافع فاحترق وجرح ومات المحيطون بها. وخاف المحاربون الوقوف بجوار أى مدفع جديد وقيل أن هذه المدافع أكثر خطورة على أصحابها مما هى على العدو. فهل كان هذا حال القواذف القديمة؟ نعم لم يكن يخرج منها دخان ولم يحدث عنها دوى مما يؤثر على العدو لو كان سرعان ما أعتاد الجميع على الدوى والدخان ولم يعد هنالك من يخافها. أما العمل على القواذف القديمة فقد أصبح سهلاً ومأمونا.

«فليقم الصناع الذين يقومون بصناعة تلك المدافع الغير متينة باستخدامها والضرب بها». هكذا كان يقول المحاربون. وعليه فلقد كان لزاماً على هؤلاء الصناع وصبيانهم أن يعملوا على هذه الآلات فيقومون بتوجيه هذه المدافع وكان هذا التوجيه يستغرق عدة ساعات مستخدمين فى ذلك كتلا خشبية لرفع أو خفض الماسورة. ثم يقومون باختيار كمية البارود اللازمة (العبوة) أما بالقياس أو بالعين المجردة فى مرة يزيدونها ومرة ينقصونها وهكذا وفى النهاية يقوم الصانع بإشعال الفتيل ويختبىء فى حفرة توجد إلى جوار المدفع. وكان هذا العمل يعتبر بمثابة إشارة للمحاصرين كى يختبئوا خلف ثنيات الحوائط وبذلك لا تصيبهم القذيفة بخسائر كبيرة. وفى بعض الحالات قبل الضرب كان الصناع يصلون كى تصيب الطاقة الهدف ولكى لا ينفجر المدفع.

فى عام ١٤٥٣ عندما هاجم الأتراك بيزنطة استخدموا المورتر الذى كان فخر المعسكر التركى وكان هذا المورتر يقذف مقذوفات حجرية زنة ٤٠٠ كيلو جرام. وكانت هذه القذيفة تسقط على الأرض بسرعة كبيرة

فتغوص إلى منتصفها فى الأرض. ولكن الضرب بهذه القذيفة لم يكن ممكناً فى كل الأوقات فلقد كانت الشوشرة والضوضاء التى تصاحب العمل على المورتر من الكثرة بحيث لم يمكن ضرب أكثر من ٧ طلقات فى اليوم وفى النهاية يقومون بتفجيره.

وبهذا ظل الأتراك فى المؤخرة بالرغم من هذا التقدم بالنسبة إلى المنجانيقات القديمة ولكن كان لديهم قوات كبيرة بواقع ٥٠ مقاتلاً فى مقابل كل بيزنطى وبذلك تحددت نتيجة هذا الهجوم فسقطت بيزنطة. ولم تكن أوروبا الغربية بالنسبة للأسلحة الجديدة بأوفر حظاً من الأتراك، إذ لم تتمكن الأسلحة النارية الغير متينة المتقلبة من منافسة الأسلحة القديمة.

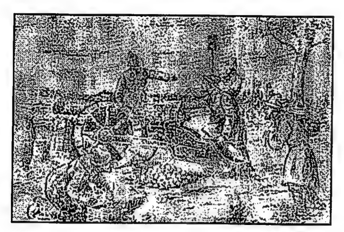
فالحق يقال أن هذه القواذف المأمونة الغير خطرة ذات ثقل الموازة كانت تقذف مقذوفات حجرية بكفاءة لا تقل عن المدافع.

ولقد ثارت مناقشات حادة بين القادة عن أى الأسلحة أكفأ القديمة أم الجديدة، واتفق الغالبية منهم على أن القديمة أكفأ.

ولكن فى سنة ١٤٩٤ أجريت تجربة أنهت هذه المناقشات، فلقد استعد الملك الفرنسى الشاب شارل الثامن للهجوم على إيطاليا ليفرض سلطانه على نابولى. وكان فرض هذه السيطرة يتطلب قوة فاختار شارل لجيشه المكون من ثلاثين ألف مقاتل عدداً كبيراً من المدافع.

وكانت هذه المدافع من المدافع الخفيفة التى تقذف كرات مع الحجارة فى حجم البرتقالة ومدافع «الاستخدام الرئيسى» التى تقوم بقذف حجارة فى حجم رأس الإنسان. وقام شارل الثامن بالهجوم على إيطاليا بهذه المدفعية فقابلته جنود الإقطاعيين وكان الفرسان يلبسون الدروع ويتمنطقون

الأسلحة المصنوعة من الحديد. ولكن فى أول معركة قذفت المدافع هؤلاء الفرسان بحجارة بحجم البرتقالة نجحت في اختراق دروعهم. وكان الفرسان يتقو هذه الحجارة بالاختفاء خلف الحوائط حتى يكونوا بعيدى المنال، ولكن قذائف مدافع «الاستخدام الرئيسى» كانت تدمر هذه البوابات والحوائط. (شكل ٧) وسرعان ما سقطت فلورنسا، وروما ونابولى فى أيدى المعتدين.



شكل (٧) مدفع ثقيل (مدفع الاستخدام الرئيسى)
يطلق قذائف فى حجم رأس الإنسان

وسرعان ما انتشر النبأ فى أنحاء أوربا الغربية عن الوسيلة الجديدة التى تجلب النصر بسهولة. وانتهى النقاش السابق عن خطورة الأسلحة النارية على القوات المتحاربة أكثر مما هى خطرة على العدو. وأصبح كل ملك يحاول الحصول على أكبر المدافع وخاصة الأقوى منها والأكفاء ولكن مرت

عشرات السنين بعد ذلك إلى أن أصبحت المدفعية فرع هام وحاسم من الأسلحة المقاتلة.

٢- مصدر الطاقة القوى أسلحة المدفعية

ماذا يسبب انطلاق دانة المدفعية ذات الوزن الثقيل من الماسورة بسرعة كبيرة فتصل إلى مسافة كبيرة من المدفع قد تصل إلى عشرات الكيلو مترات؟

ما كنه هذه القوة التى تدفع الدانة من المدفع؟

لقد كانت الدانات الحجرية فى الأزمنة الغابرة تقذف من المنجانيقات (القواذف) باستخدام خاصية المرونة (اللدونة) للحبال الملوية بشدة أو باستخدام الأوتار. أما لقذف السهام من الأقواس فلقد استغلت خاصية المرونة لمادة الخشب أو المعدن. وما من شك أن نظرية عمل المنجانيق (المقلاع) أو القوس واضحة ومعروفة. إذا ما هى نظرية بناء وعمل أسلحة المدفعية النارية؟

المدفع الحديث عبارة عن آلة معقدة تتكون من أجزاء وتركيبات ميكانيكية كثيرة ومختلفة. وتبعاً للغرض الذى من أجله صنع المدفع تجد عدداً كبيراً من المدافع المختلفة الأشكال ولكن الأجزاء الرئيسية والمجموعات الميكانيكية فى المدافع المختلفة لا تختلف كثيراً فى الأساس من مدفع إلى آخر. وسنتعرف هنا على البناء العام لمدفع ما.



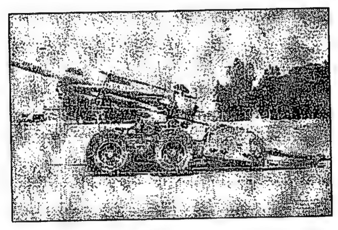
يتكون المدفع من ماسورة وترباس وعربة وهذه هى الأجزاء الرئيسية لكل مدفع

والغرض من الماسورة هو إعطاء حركة للمقذوف وتوجيهه فى الاتجاه المطلوب كما أنها فى حالة المواسير المشخشنة تقوم بإعطاء المقذوفة حركة دوران حول محوره مما يحقق ثبات المقذوف أثناء سيره على خط المرور نتيجة لتحرك المقذوف ومقدمه دائماً للأمام.

أما الترباس فيقوم بقفل قناة الماسورة، ويمكن فتحه بسهولة لتعمير المدفع أو لقذف الخرطوشة بعد الضرب. وعند التعمير يمكن قفل الترباس بسهولة ويصبح عندئذ كما لو كان قطعة واحدة مع الماسورة وبعد قفل الترباس يتم ضرب الطلقة بواسطة مجموعة جهاز ضرب النار.

تستخدم العربة لحمل الماسورة ولإعطائها الوضع المناسب للضرب كما أنها فى حالة مدافع الميدان تستخدم كوسيلة تحريك المدافع من مكان لآخر.

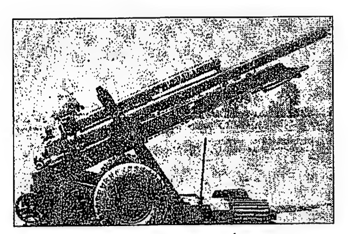
تتكون العربة من أجزاء ومجموعات ميكانيكية كثيرة أهمها السرج ومجموعة العجل (شكل ٨) وعندما يراد الضرب من أى مدفع يتم فتح ساقى الغنداق وتثبيتهما فى وضع الفتح أما عندما يراد تحريك المدفع فيصير ضم هذين الساقين. ونلاحظ هنا أن فتح الغنداق فى حالة تجهيز المدفع للضرب يعطى المدفع قوة ثبات إلى جانب توفير قوس اتجاه كبير. تنتهى ساقا الغنداق بسلاحين عن طريقهما يتم تثبيت المدفع فى التربة وذلك لمنعه من الحركة الطولية عند الضرب.



شكل (٨) قطعة مدفعية

وتتكون مجموعة العجل من العجل ومجموعة امتصاص الصدمات التى تقوم بتوصيل العجل بقاعدة السرج أثناء الحركة (بعد ضم ساقى الغنداق) أما أثناء الضرب فيجب فصل مجموعة امتصاص الصدمات وهذا يتم أوتوماتيكيا عند فتح الغنداق.

يوجد على قاعدة السرج الأجزاء المتحركة (الدوارة) من المدفع والتى تتكون من السرج، مجموعة منجلتى الاتجاه والارتفاع، مجموعة أجهزة الموافنة، أدوات التنشين، المهد وأجهزة الرجوع والإعادة.



شكل (٩) الأجزاء الرئيسية للمدفع ٧٦ موديل ١٩٤٢

السرج (شكل ٩) - هو الجزء الرئيسى المتحرك من المدفع وعليه عن طريق الأكتاف (الترنيون) يتم تركيب المهد بالماسورة وأجهزة الرجوع

والإعادة أو بتعمير آخر الأجزاء المتأرجحة (التى تتحرك فى المستوى الرأسى بواسطة منجلة الارتفاع الأمر الذى يوفر إعطاء الماسورة زاوية الارتفاع اللازمة للحصول على المسافة المطلوبة وبهذه الطريقة يتم توجيه المدفع فى المستويين الأفقى والرأسى أى إعطاء المقذوف التوجيه المطلوب للوصول إلى الهدف.

وذلك يتم بواسطة أدوات تنشين المدفع حيث يتم ربط الزوايا الأفقية والرأسية على أدوات التنشين التى تنقل بعد ذلك إلى الماسورة بواسطة منجلتى الاتجاه وارتفاع أما مجموعة أجهزة الرجوع والإعادة فالغرض منها تقليل الطلقة على المدفع وتوفير الثبات وعدم تحرك المدفع للخلف أثناء الضرب. وتتكون هذه المجموعة من جهاز رجوع وجهاز للإعادة. يمتص جهاز الرجوع طاقة الرجوع الناتجة من الضرب أما جهاز الإعادة فيعيد الماسورة المرتدة إلى وضعها الابتدائى ويحفظها فى هذا الوضع على جميع زوايا الارتفاع. ولتقليل تأثير طاقة الرجوع أيضاً يوجد مخفف الصدمة.

وتقوم الدورة بحماية طاقم المدفع أى رجال المدفعية الذين يقومون بالعمل على المدفع من نيران الأسلحة الصغيرة ومن شظايا الدانات.

هذا هو البناء العام البسيط للمدفع الحديث المجرور، ولكن التطور لم يقف عند ذلك بل سار حثيثا إلى أن أصبحت المدافع أكثر تعقيداً، وظهرت أنواع جديدة كثيرة سيرد الحديث عنها.

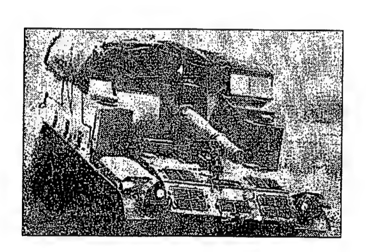
فى المدفع الحديث تستخدم الغازات المتولدة من البارود فى دفع المقذوفات، ولطاقة هذه الغازات عدة خصائص مميزة.

عند العمل على المنجانيق (القواذف القديمة) كان الأفراد يقومون بلى الحبال بشدة حتى تصبح على شكل ضفيرة ثم عند تركها تنفرد بسرعة ويدفع الحجارة بقوة للأمام. وكان هذا العمل يتطلب وقتاً وجهداً كبيرين.

أما عند الرمى بالأقواس فكان الأمر يتطلب شد الوتر بقوة للخلف ثم تركه يعود لوضعه الطبيعى دافعاً السهم للأمام.

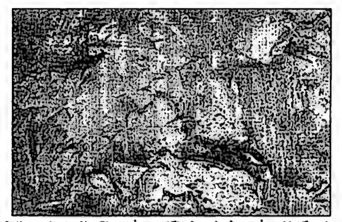
أما المدافع الحديثة فلا يتطلب الأمر منا بذل كل هذا المجهود الضخم قبل الضرب أما العمل الذى يحدث داخل المدفع نفسه عند الضرب فتقوم بها نيابة عنا الطاقة الناتجة من البارود.

قبل الضرب يتم تعمير المقذوف داخل الماسورة وكذا العبوة، وعند الضرب تشتعل العبوة وتتحول مادتها إلى غازات يكون لها مرونة عظيمة لحظة تكوينها. ثم تبدأ هذه الغازات فى الضغط بقوة كبيرة جداً فى جميع الاتجاهات (شكل ١٠) ومن هذه الاتجاهات اتجاه قاعدة المقذوف.





دبابة إسرائيلية دمرها صاروخ مضاد للدبابات



هل يمكن لاحد أن يعيش فى هذا المكان بعد أن حولته النيران إلى حطام؟

٣ـ هذا المقذوف السابح فى الهواء

المقذوف الكروى والدانة:

تطورت ذخيرة المدفعية من الحجارة الكروية إلى مقذوف كروى متفجر (شكل ٩) يملأ من الداخل بالبارود الأسود، ومزود بفتحة (شباك) يوضع بها فتيل (أنبوب) مملوء بمادة مشعلة بطيئة الاحتراق تشتعل عند إطلاق المدفع ويستمر إشعالها لمدة بضع ثوانى، وعندما ينتهى احتراق مادة الأنبوب ويصل اللهب إلى البارود الموجود داخل الكرة المتفجرة يحدث الانفجار، وبانفجار القذيفة تتفتت جدرانها إلى شظايا تقتل كل من يتواجد في منطقة تأثيرها.

وكثيراً ما كان يحدث ألا تتفجر هذه القذيفة بعد وصولها إلى الهدف لأسباب كثيرة منها انطفاء اللهب أو وصول رطوبة إلى بعض أجزاء الأنبوب فلا يكتمل اشتعاله، ونطلق نحن رجال المدفعية على هذه الظاهرة اصطلاح «التكذيب»

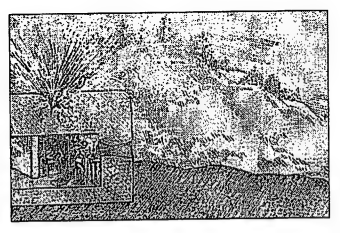
وكان قائد طاقم المدفع يتحكم في طول الأنبوب (أو الفتيل) بخبرته فيقطع منه جزءاً ما حتى يتفق زمن التأخير (أو زمن احتراق مادة الأنبوب) مع الزمن الذى تستغرقه القذيفة لقطع المسافة من مكان المدفع إلى الهدف (وهو ما نسميه زمن المرور للمقذوف).

وبدأ رجال المدفعية يكتسبون الخبرة من خلال المعارك التى خاضوها، وبدأ البعض منهم يحاول تطوير هذه الذخيرة؛ لتحسين أدائها إلى أن ظهرت الدانة، وفى القديم كان رجل المدفعية يطلق على قذيفة المدفع (قنبلة المدفع) وتطورت التسمية إلى أن أصبحت كلمة «دانة» هى التسمية المعترف بها، وفى القديم كانت دانة المدفعية زنة ٦,٤ كجم أو أقل تسمى

«دانة»، وأما تلك التى زاد وزنها عن ذلك فسميت «قنبلة»، ولقد أثبتت دانة المدفعية ذات الشكل الانسيابى قدرة أعلى فى الوصول إلى مسافة أبعد بغرض ثبات الوزن وقوة المدفع.

تأثير دانة المدفعية:

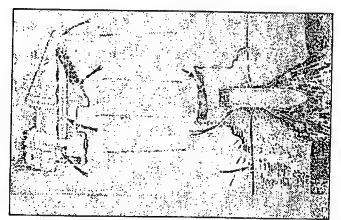
للمدفعية أنواع كثيرة من الدانات لتناسب طبيعة كل هدف فهناك الدانات الشديدة الانفجار التى تستخدم فى القضاء على القوة البشرية للعدو وتدمير المنشآت الدفاعية (الدشم - المواقع الدفاعية - التحصينات المختلفة) (الأشكال من ٩ إلى ١٤)، والدانات الخارقة للدروع التى تستخدم فى تدمير الدبابات والعربات المدرعة (شكل ١٥، ١٦، ١٧).



شكل (١٢) التأثير الناتج من إصابة دانة شديدة الانفجار واحدة لدشمة خرسانية

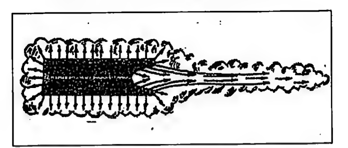


شكل (١٤) وهذا هو ما بقى من دشمة خرسانية
اصيبت بعدة اصابات مباشرة بالمدفعية

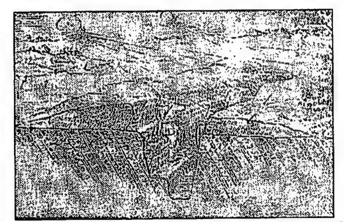


شكل (١٥) دانة خارقة للدروع سابو تخترق درع دبابة

دانة حشو جوفاء تخترق درع دبابة



شكل (١٦) دانة حشو جوفاء تخترق درع الدبابة

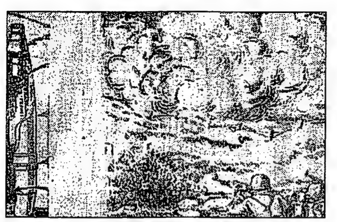


شكل (١٧) انفجار جوى لدانة شديدة الانفجار وتأثيره على جنود فى خنادق

كما توجد للمدفعية دانات مضيئة (شكل ١٨) تستخدم فى إضاءة أرض المعركة ليلاً، بالإضافة إلى دانات الدخان (شكل ١٩) التى تقوم بتعمية العدو وإنشاء ستائر الدخان لأغراض كثيرة.



شكل (١٨) دانة مدفعية مضيئة



شكل (١٩) دانة مدفعية دخـان

٤- المدفع - الهاوتزر - الهاون - الصاروخ

ما هو المدفع؟

كانت زيادة مرمى المدافع - ولا زالت - هدفاً رئيسياً لمخترعي المدافع ولرجال المدفعية، ولزيادة المرمى يتطلب الأمر السرعة التي تخرج بها الدانة من فوهة الماسورة.

ولك أن تتسائل وكيف يتم ذلك؟ وما هي الطرق التي يمكنها تحقيق هذا الهدف؟

إن الإجابة على هذا السؤال أصبحت سهلة بفضل العلوم الحديثة، فزيادة كمية المادة القاذفة (البارود) يزيد من ضغط الغازات على قاعدة المقذوف داخل الماسورة فيخرج بسرعة كبيرة، وزيادة طول الماسورة يزيد من زمن تأثير هذه الغازات على الدانة وبالتالي يزيد من سرعتها. وكلما زادت السرعة التي تخرج بها الدانة (المقذوف) من فوهة الماسورة كلما زادت المسافة التي يقطعها وقل انحناء خط المرور نتيجة قدرة الدانة السريعة على التغلب على مقاومة الهواء والجاذبية الأرضية.

والمدفع الذي تستخدم معه عبوة كبيرة وله ماسورة طويلة نسبياً يطلق عليه اسم: مدفع وعادة ما تكون السرعة الابتدائية لقذيفة المدفع أكبر من ٨٠٠ متر / ث.

ونادراً ما يقل طول ماسورة أي مدفع حديث عن ٤٠ ضعف عياره، أي طول الماسورة يساوي ٤٠ مضروبة في الماسورة

ونتيجة كبر سرعة المقذوف عند الرمي بالمدفع فعند الضرب على هدف على مسافة قصيرة لا يتطلب الأمر رفع الماسورة لزوايا كبيرة ولذلك عادة ما لا ترتفع ماسورة المدفع عن ٤٥ درجة.

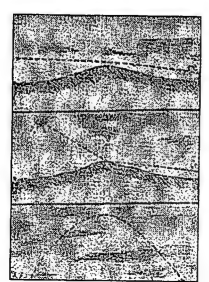
وتحت هذه الظروف عادة ما يتم الرمى والماسورة تأخذ زوايا ارتفاع حتى ٢٠ درجة، وعلى هذه الزوايا ترتفع الدانة أثناء سيرها على خط المرور فوق سطح الأرض عدة مئات من الأمتار ثم تعود إلى الانخفاض إلى أن تصطدم بالهدف.

ولكن ليس ما قلناه قانوناً ليست له شواذ فالمدفع الألمانى الذى كان يضرب باريس عام ١٩١٨ كانت أقصى زاوية تأخذها الماسورة ٥٣ درجة وكان يطلق داناته إلى مسافة ١٢٠كم وكانت الدانة ترتفع إلى مسافة ٤٠كم فوق سطح الأرض.

وعليه يمكن القول بأن الخواص المميزة للمدفع تتلخص فيما يلى:

- سرعة ابتدائية عالية للدانة.
- طول المرمى.
- خط مرور لطيف الانحناء.

ولكن مثل هذا المدفع قد لا يكون مناسباً للضرب على بعض الأهداف - فدانة المدفع التى تطير بسرعة كبيرة وتسير على خط مرور يكاد يكون مستقيماً قد لا تتمكن من إصابة الهدف انظر الشكل رقم (٢٠) هل يمكن للمدفع أن يصيب الهدف؟



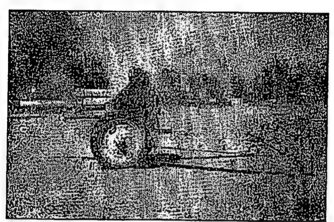
شكل (٢٠) الضرب على اهداف تقع خلف ثنية أرضية

من الشكل يمكنك أن ترى بوضوح أن الأمر يحتاج إلى أن تسير الدانة على خط مرور منحن حتى يتفادى الثنية الأرضية التى يقع خلفها الهدف، فهل يمكن للمدفع أن يقوم بذلك؟ نعم يمكن ذلك إذا رفعنا ماسورة المدافع على زاوية ارتفاع أكبر من ٤٥ درجة. حينئذ سترتفع الدانة لأعلى ثم تسقط على الهدف كما هو وأضح بالشكل، وهنا نتساءل: وهل هذا الضرب مفيد؟ وإذا كانت الثنية الأرضية عبارة عن تبة مرتفعة أليس معنى ذلك أننا يجب أن نرفع الماسورة على ارتفاع كبير جداً وبالتالى سيكون الطريق الذى تقطعه الدانة طويلاً؟ وقبل أن نسترسل فى التساؤلات هناك حقيقة مؤداها أن معظم المدفعية التى من نوع المدفع لا يمكن أن تأخذ الماسورة زوايا ارتفاع أكبر من ٤٥ درجة.

إذا يجب البحث عن نوع آخر من قطع المدفعية.

المرمى على هدف خلف ساتر يلزم الهاوتزر: شكل رقم (٢١):

ما هى الوسيلة الأبسط والأكثر اقتصاداً للحصول على خط مرور أكثر انحناءا؟ لنجرب تقليل العبوة للمدفع، ماذا يحدث؟ ستقل سرعة الدانة أى أنها ستطير ببطء وتسقط على مسافة أقل.



شكل (٢١) فى حالة السرعة الابتدائية الأقل يزداد
انحناء خط المرور كلما زادت زاوية الارتفاع

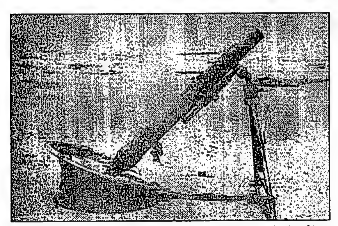
وإذا استخدمنا عبوة أقل وزدنا زاوية ارتفاع الماسورة - ودون تخطى زاوية الـ ٤٥ درجة كلما زاد انحناء خط المرور. وعليه يمكن التحكم فى شكل خط المرور والحصول على خط مرور له قدرة تفادى أى هيئة بين المدفع والهدف، وهذه هى أهم خصائص الهاوتزر الذى يتميز بما يلى:

- خط مرور أكثر انحناءاً.
- سرعة ابتدائية أقل للدانة.
- دانة أثقل من دانة مدفع له نفس العيار.

الهاونات: شكل (٢٢).

هل يمكن خلق سلاح له نفس خاصية خط المرور العالى (المنحنى) ولكن أخف وزناً، وأسهل فى الصناعة؟

لقد حقق الهاون ذلك. فماسورة الهاون ملساء، جدرانها غير سميكة ولذلك فهى أخف وزنا، كما أن الهاون فى مجموعة أقل وزنا بكثير من أى قطعة مدفعية أخرى من نفس العيار، وتعتبر الهاونات مدفعية الجيوش الفقيرة نظراً لرخص تكاليف إنتاجها.



شكل (٢٢) هاون متوسط عيار ١٢٠مم هل من الصعب اصابة الهدف

دقة الضرب

«النقطة الإشارية رقم ٣ يمين ١٠ فوق ١٠٠ رشاش فى حفرة يفتح

نيرانه على مشاتنا ـ اسكته». كان هذا هو الأمر الذى أصدره قائد إحدى الفصائل المشاة لمدفع يرافق فصيلته أثناء الهجوم فى السابع من أكتوبر عام ١٩٧٣، ومرت بضع ثوان وتعرف قائد طاقم المدفع على الهدف وقدر مسافة الهدف بحوالى ٢ كم، فأصدر الأوامر اللازمة لسرعة فتح النيران، وانطلقت القذيفة الأولى، ورأى الطلقة الأول تنفجر أمام الهدف فأصدر تصحيحاً لها وانفجرت الثانية خلف الهدف ثم صحح الضرب فأصابت الرشاش الذى تطايرت أجزاؤه وقتل طاقم الرشاش، وتمكنت مشاتنا من متابعة التقدم، لقد قام طاقم المدفع بتنفيذ المهمة بسرعة وبدقة، لقد استهلك الطاقم ثلاث طلقات لإصابة الرشاش وتدميره.

لماذا اعتبرنا أن المهمة نفذت بدقة؟ ألم يكن فى استطاعة الطاقم أن يصيب الهدف من أول طلقة؟ سنجيب على هذا التساؤل بعد قليل، ودعنا نسأل أنفسنا ما معنى كلمة «دقيق»؟

كثيراً ما تقول «أن ساعتى مضبوطة» فماذا تقصد؟ هل تعنى أنها على درجة مطلقة من الدقة وأنها لا تخطىء ولو بجزء من الثانية؟ إننا نعلم جيداً أن ذلك مستحيل، فلكل ساعة خطأ مسموح به، وتتميز ساعة عن ساعة أخرى بأن الخطأ المسموح به أصغر، وعليه فكلمة «ساعتى مضبوطة» أو «دقيقة» تعنى أن الخطأ فى توقيتها صغير يمكن إهماله ولنفرض أنه ثانية واحدة.

ويمكن ضرب أمثلة عديدة تؤكد أن الدقة المطلقة أمر مستحيل، ولا يوجد شىء مطلق فى دقته وفى كل شىء سوى الله وقدرته جل شأنه.

وما من شك أن أى مدفع مهما كانت دقة صناعته به سماح ما أو خطأ مسموح به: فى قطر الماسورة، وفى طولها، وفى استقامتها.... إلخ.

كما أن إيجاد مسافة الهدف يتضمن خطأ ما، إذا لا يمكن إيجاد أى مسافة بدرجة دقة مطلقة. وعليه إذا كنا قد أدركنا أن مفهوم «الدقة» هو مفهوم نسبى وليس مطلقاً، فما هى الدقة المطلوبة من رجال المدفعية لتدمير رشاش للعدو وبالحصول على إصابة مباشرة فيه؟

من الممكن حساب ذلك ـ فإذا فرضنا أن مقاييس المساحة التى يشغلها الرشاش ١×١ متر، فمن الممكن تدمير الرشاش إذا سقطت دانة المدفع فى أى مكان من هذه المسافة، وانفجار دانة المدفع تحدث حفرة نصف قطرها حوالى ٧٥سم، وعليه فإذا سقطت الدانة على مسافة لا تزيد عن ٧٥سم من المساحة التى يشغلها الرشاش فسيحدث التأثير المطلوب، ومن هذا يمكن القول بأن أى خطأ مقداره بضع عشرات من السنتيمترات يعتبر غير ذى قيمة، ولكن لا يجب أن نخطىء بمقدار واحد متر.

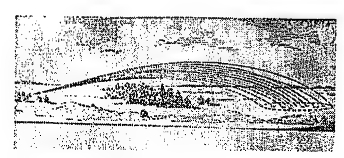
وبتعبير آخر: للحصول على التأثير المطلوب فى الرشاش يجب ألا تبعد نقطة انفجار الدانة عن حدود مساحة الهدف أكثر من ١٥سم.

ولكى لا نطيل الحديث فى مسائل علمية بحتة هى من اختصاص ضابط المدفعية سنختصر الحديث ونصل إلى القول بأنه نتيجة عوامل كثيرة يتعرض لها المقذوف أثناء سيره فى الجو، وأخطاء الصناعة، والأخطاء البشرية.... إلخ لا يمكن أن تحقق ظروف واحدة ثابتة للضرب، كما أنه لا يوجد ولا يمكن أن يتواجد فى المستقبل مدفع يمكنه أن يقذف دانته فى نفس النقطة.

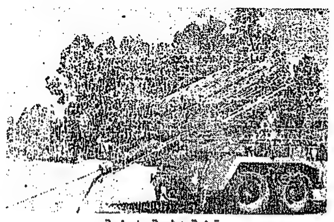
ومهما قمنا بمراعاة الدقة فى التحضير للضرب وفى تجهيز المدفع للضرب وتنشينه والتعويض عن الاختلافات التى تحدثها العوامل المؤثرة على الضرب لا يمكن أن تسقط عدة دانات تطلق من مدفع واحد تحت

ظروف سائدة واحدة فى نقطة واحدة، فعند إطلاق عدد من الطلقات ستسقط هذه الطلقات فى منطقة محدودة تخضع لقانون رياضى معين.

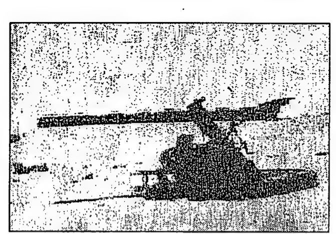
هذه المنطقة نسميها (علمياً) منطقة الانتشار (شكل ٢٣) أو بيضاوى الانتشار.



شكل (٢٣) انتشار دانات المدفعية



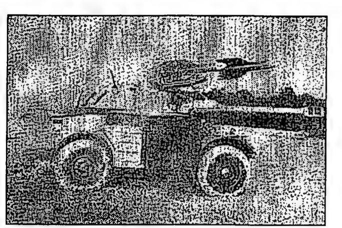
قطعة مدفعية صاروخية



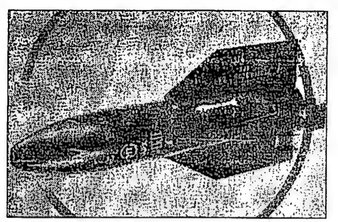
شكل (٢٤) كلما زات مسافة الرمى كلما زادت مقاييس منطقة الانتشار



شكل (٢٥) صواريخ موجهة مضادة للدبابات مركبة على عربة جيب



صاروخ موجه مضاد للدبابات على عربة مدرعة



صاروخ فردى يحمله فرد موجه للدبابات



الباب الثانى

طريق طويل شاق

ما بعد النكسة



نكسة ١٩٦٧ سامحها الله

أحدثت نكسة عام ١٩٦٧ ، سامحها الله، آثاراً نفسية رهيبة في نفوسنا نحن رجال القوات المسلحة، فلقد هزمت هذه القوات لأنها وضعت في موقف كان لابد فيه أن تفقد نفسها، ولقد تضافرت قوى كثيرة على تدمير نفسية قواتنا المسلحة حتى كدت أن أصدق أننا فقدنا أنفسنا ولن نجدها لزمن طويل، وأخذ العدو الإسرائيلي بزمام المبادرة وبدأ يشن علينا حربا نفسية ضارية جند لها كل إمكانياته العلمية والمادية، وأخذت كتب الأساطير والخرافات تملأ الأسواق وتصم الآذان ببطولات كاذبة لجيش الدفاع الإسرائيلي الذى لا يقهر.

وبدأ رجل الشارع الإسرائيلي يؤمن بأن الغلبة دائماً في أى حرب بين إسرائيل وبين العرب لابد وأن تكون لصالح جيش الدفاع الإسرائيلي وساعد على شدة تأثير هذه الحرب النفسية ما أحس به الشعب المصرى من آلام مبرحة في قلبه إذ كان قد آمن بأن قواته المسلحة قادرة على إلقاء إسرائيل في البحر، وذلك نتيجة خطأ أجهزة الإعلام المصرية التي أخذت تنفخ في أبواقها منادية بشعارات طنانة، «أقوى طيران في الشرق الأوسط» «وأقوى جيش في الشرق الأوسط».. إلخ، فلما جاءت الصدمة وكانت شديدة بدأ رد الفعل ينعكس على تصرفات بعض المواطنين قبل صف وجنود وضباط القوات المسلحة المصرية، ولم يجرؤ أحد من القوات المسلحة أن يقف يبرىء ساحة الجيش من وزر النكسة؛ لأن الهزيمة كانت ضخمة وكانت الخسائر فادحة، وعليه لا مناص من ابتلاع السم والسكوت عليه حتى ولو أدى إلى موت صاحبه.

ولكن أصالة الإنسان المصرى وقوة تحمله جعلته يبتلع السم ولا يموت،

بل يقاوم فى صبر جبار عنيد لينتصر على أسباب الضعف والوهن، وبدأنا نعمل! وكان العمل شاقاً مضنياً! أعتقد أن من واجبى تجاه كل مصرى أن أعطيه صورة عن هذا الجهد دون مساس بما تقتضيه على واجباتى كضابط مصرى والأمانة فى سرية المعلومات التى هى ملك الدولة، والتى لم يحن الوقت بعد لاذاعتها.

عناصر الموقف الإسرائيلي بعد النكسة

كانت ولازالت السمة البارزة الأولى للمخطط الصهيونى الدولى هى المرحلية أى تحقيق الهدف على مراحل متتالية مترابطة، وكل مرحلة من المراحل لها هدفها الأقصى وهدفها الأدنى، فالهدف الأقصى يحدد أقصى مكاسب ترمى إلى تحقيقها إسرائيل فى المرحلة، أما الهدف الأدنى فهو الحد الأدنى للمكاسب التى تنشدها إسرائيل فى خطتها المرحلية، والتى يجب أن تتمسك بها ما لم تتعرض لضغوط عسكرية أو سياسية تؤثر على الخطة وهو الحد الذى تبذل فى تحقيقه إسرائيل كل طاقتها سياسية كانت أو عسكرية.

وعلى ذلك تمسكت إسرائيل بالأراضى العربية التى استولت عليها خلال حرب يونيو ١٩٦٧، وحاولت أن تحقق أحد هدفيها لهذه المرحلة:

(أ) **الحد الأقصى**: ويتلخص فى ضم كل أو معظم هذه الأراضى على أساس أنها ضمن حدود إسرائيل العظمى، ويتزعم هذا الاتجاه حزب جحل وبعض المجموعات السياسية المتطرفة، فلقد أدلى مناحم بيجين زعيم حزب جحل بتصريح فى ٢٨ مايو ١٩٦٨ يقول:

« أن الأراضى العربية المحتلة هى أراضى إسرائيلية حررتها إسرائيل من الحكم الأجنبى غير الشرعى.. إنها أرض الأجداد التى طرد منها الشعب اليهودى قبل ١٨٩٨ سنة».

(ب) **الحد الأدنى**: أدت تطورات الموقف العربي الدولي إلى دفع المعتدلين في إسرائيل للبحث عن حلول وسط وصياغة مقترحات تحقق لإسرائيل الحد الأدنى الذى لا تقبل ما دونه، واعتبر الكثيرون أن ذلك تنازلات من إسرائيل على العرب أن ينظروا إليها بعين الاعتبار، وكان العامل الرئيسى الذى تحكم فى مفهوم إسرائيل عن الحد الأدنى هو الحدود الآمنة أو نظرية الأمن الإسرائيلية.

وظهرت صياغات جديدة ومصطلحات لولبية براقة، فلقد نادى موشى ديان بضرورة النظر إلى مستقبل المناطق المحتلة ليس فقط من وجهة نظر الحق التاريخى بل أيضاً من خلال الاهتمام بالمستقبل التاريخى واستبدالها بعبارة الارتباط التاريخى، والفرق بين الكلمتين أو التعبيرين هو فى الواقع نفس الفرق بين الحد الأقصى والحد الأدنى، وفسر المعلقون الارتباط التاريخى بأنه ليس من الضرورى أن تحتفظ إسرائيل بكل الأراضى المحتلة بحكم الحق التاريخى وإنما توجد أماكن أو مناطق يجب الاحتفاظ بها من أجل مستقبلهما.

ويمكن ملاحظة الأسس الاستراتيجية التالية فى المخطط الإسرائيلى لتحقيق هذا الهدف.

(أ) محاولة إرغام العرب على قبول الوجود الإسرائيلى والاعتراف به مستغلة فى ذلك نتائج حرب يونيو ٦٧ والنجاح العسكرى والسياسى الذى تحقق لها.

(ب) تأمين الوجود الإسرائيلى داخل حدود يتوفر فيها الأمن بمفهومه السياسى والعسكرى والاقتصادى والاجتماعى.

(جـ) العمل تدريجياً على تحقيق الحلم وذلك بالتوسع واستمرار النمو.

(د) محاولة كسب السكان العرب الموجودين داخل إسرائيل وكسر حدة

عـدائهم لهـا، وذلك بخلق وجـود عربى مـشـتـرك رغم مـا فى ذلك من تناقض مع الأيديولوجية العنصرية الصهيونية التى تتمسك باستمرار النقاء العسكرى اليهودى.

(هـ) إزالة مظاهر الصلات الشرعية القائمة بين المناطق المحتلة والدول العربية التابعة لها.

وبتنفيذ هذه الاستراتيجية العليا وضعت إسرائيل لنفسها استراتيجية عسكرية محددة تقوم على عناصر ثلاثة:

أولاً: الحرب الوقائية الخاطفة التى تعتمد على رفض انتظار وقوع الضربة الأولى من جانب الدول العربية، وأن ضربة الأحباط هى التى تحقق لإسرائيل أمنها وسلامتها، وعليها أن توجه هذه الضربة فى الوقت المناسب قبل أن يكتمل استعداد أى دولة عربية لأعمال تعرضية شاملة.

ثانياً: اليد الطويلة التى تمثل أداة الردع الرئيسية ويتحقق ذلك بالحصول على التفوق الجوى بل والسيادة الجوية حتى تكون أجواء الدول العربية مفتوحة أمام القوات الجوية الإسرائيلية كيفما تشاء، وبذلك تهدد أعماق الدول العربية، وتمثل خطراً داهماً على اقتصادياتها.

ثالثاً: الحرب الخاطفة وذلك بتدمير أى هجوم عربى فى مراحله الأولى وفى وقت قصير وذلك بتوجيه ضربات جوية وبرية مدرعة قوية بقوات على درجة عالية من خفة الحركة والكفاءة القتالية ونقل الأعمال القتالية إلى أرض العدو بأسرع وقت ممكن.

الموقف العربي بعد النكسة

دروس مستفادة:

ما من شك أن هزيمة العرب في يونيو ١٩٦٧ قد تركت آثاراً سياسية وعسكرية ومعنوية بعيدة المدى، فلقد فقد العرب عنصر المبادرة الذى انتقل إلى جانب إسرائيل بكل أبعاده، وجعلها تتصرف فى المنطقة كيف تشاء ما من رادع بها، تماماً كالبلطجي الذى يسيطر على حى من الأحياء بقوة وجبروت، وكان الموقف العسكرى المصرى والسورى فى حالة سيئة للغاية جعلته يقف إلى حد كبير موقف المتفرج الذى لا يجد ما يمكنه أن يتدخل به أو حتى يحتج به.

ولكن على الرغم من كل ذلك فلقد خرجنا بدروس مستفادة وعيناها وعملنا على الاستفادة منها ألخصها فيما يلى:

(أ) جهلنا بعدونا واستهانتنا به أديا إلى أن نخسر الحرب وبسهولة.

(ب) التقصير الشديد فى وضع الخطط المناسبة لمقابلة أى موقف سياسى عسكرى فى المنطقة، وعدم وجود أى تعاون أو تنسيق بين الجبهات العربية المختلفة الأمر الذى أعطى لإسرائيل حرية الحركة والقضاء على القوات العسكرية لكل دولة على حدة.

(جـ) ترك المجال السياسى العالمى للنشاط الإسرائيلى، فنجحت إسرائيل فى استقطاب غالبية الرأى العالمى إلى جانبها.

(د) الجهل بإمكانيات الأمة العربية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، وبذلك حرمنا من أسلحة مؤثرة فى المجالين السياسى والعسكرى.

(هـ) أن الخطر الصهيونى ليس موجهاً لدولة عربية بالذات وإنما هو خطر يهدد كيان الأمة العربية كلها.

استراتيجية مصرية جديدة:

درست مصر دروس النكسة ووعتها وبدأت تضع لنفسها استراتيجية محددة تبلورت تماماً بعد ثورة التصحيح وظهرت معالمها جلية فى خطابات الرئيس السادات وكل أعماله ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجية الجديدة فيما يلى:

(أ) هناك أرض عربية يحتلها العدو ولابد من تحريرها، وهو يرفض أن يتخلى عنها.

(ب) أن العرب يرفضون الاستسلام ويصرون على استرداد الحق المغتصب، ويؤمنون بقدرتهم وإمكانياتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

(جـ) استقطاب التناقض الموجود فى العالم العربى، والعمل على خلق جبهة عربية موحدة تحاصر العدو الإسرائيلى وترهقه.

(د) هناك كثير من نقط الضعف الأساسية فى موقف إسرائيل يمكن استغلالها.

(هـ) يمكن للعرب أن يجعلوا بقاء إسرائيل فى الأراضى المحتلة عبئاً ثقيلاً غالى التكاليف تقصر عنه إمكانيات إسرائيل الاقتصادية.

(و) استقطاب المجال السياسى العالمى لصالح العرب وعدم ترك أى ميدان سياسى لإسرائيل تعمل فيه بحرية.

(ز) البناء العسكرى إلى جانب البناء الاقتصادى، فيد تبنى ويد تحمل السلاح.

(ح) وضع خطة من أربع مراحل: البناء، والصمود، والردع، ثم التحرير.

البناء

مهمة شاقة مضنية ا وحدات المدفعية معظمها عاد من سيناء دون

سلاحها! الروح المعنوية للصف والجنود والضباط فى الحضيض! المعلومات تفيد بأن الأسلحة فى الطريق لإعادة البناء! ما هو العمل؟ و هى الخطة؟

أن الأمر يحتاج إلى جهد جبار يقوم به رجال آمنوا بالله وبالوطن، وبدأت القيادة العامة للقوات المسلحة بأجهزتها المختلفة تعمل وتضع الخطط، ومن بين هذه الأجهزة إدارة سلاح المدفعية وكان على رأسها رجل عظيم هو اللواء: عبدالتواب هديب.

قامت القوات المسلحة باختيار ضباط أكفاء أقوياء وعينتهم فى المناصب القيادية للوحدات والتشكيلات، وبدأ هؤلاء فى أولى خطوات البناء ألا وهى التدريب.

وبدأ التدريب شاقاً عنيفاً، ليلاً ونهاراً تواكبه أعمال نفسية ومعنوية لتمسح من نفوس كل إنسان بالقوات المسلحة ما علق بها من آثار النكسة حتى ينتصر على نكسته هو داخل نفسه.

وبدأ رجال المدفعية يعملون فى صبر وعزم وقوة، وكان على المدفعية أن تسبق الأسلحة الأخرى فى توقيتات الاستعداد إذ أنها كانت تمثل الذراع الطويلة التى يمكن استخدامها فى مرحلة الصمود التى يجب أن تبدأ بأسرع ما يمكن.

كان المتبع قبل عام ١٩٦٧ فى خروج الوحدات إلى مشروعات تدريبية مع الرمى بالذخيرة الحية أن يعطى إنذار للوحدة، وكان قائد الوحدة يتمكن عادة من معرفة موضوع المشروع والكثير من تفاصيله وكذا منطقة إجراء المشروع، ولذلك كان يذهب ومعه مجموعة استطلاع من ضباطه وصف جنوده يدرسون أرض المشروع وتفاصيل الهيئات والطرق بها، ولذلك كانت نتائج هذه المشروعات تعطى صورة غير دقيقة عن المستوى الحقيقى للوحدة، كما كان تقييم المشروع يتم بأسلوب غير سليم.

بدأنا فى تغيير الأسلوب فكنا نفاجىء الوحدة فى وقت راحتها لنرفع درجة استعدادها ونحركها إلى أرض مجهولة بالنسبة لها لتبدأ مشروعاً تدريبياً بالرماية تبرز فيه جميع الدروس المحتملة فى الحرب: من تحرك مع توقع مقابلة العدو إلى هجوم على مواقع مجهزة إلى اختراق لمواقع مجهزة على عجل... إلخ، وكان المشروع يستمر عدة أيام تتم فيها كل الأعمال المختلفة من إمداد بالاحتياجات إلى العيش لفترة تحت ظروف نقص الطعام والمياه، وظهر ثغرات كثيرة ونقط ضعف عديدة أخذنا فى علاجها بعلم ودراية، وبدأ الصدأ الذى يعلو النفوس والعقول يزول بمعدلات مذهلة، فلقد كان الإنسان المصرى يرغب فى استرداد كرامته التى أهدرتها ظروف خارجة عن إرادته، وبدأ العقل المصرى يبتكر، وأخذ الضباط والصف والجنود يتقدمون بآراء ومبتكرات تسهل أعمالهم وتوفر الوقت الثمين وتوفيراً للذخيرة أنشأنا ميادين مصغرة فيها كل ما فى ميدان المعركة ويتم التدريب فيها إلى أن نتأكد من أن الضابط والجندى قد أتقنا العمل فينتقل بهما إلى مرحلة أخرى وهى التدريب فى ميادين حقيقية وبالذخيرة الحية، وكان هدفنا أن نضع طابوراً متسلسلاً لبعض الأعمال أى ميكنتها حتى توفر الوقت، وبدأت أرقام ومعدلات زمنية لتنفيذ المهام تنكسر تحت أقدام القادة والضباط المصريين.



وبدأت مرحلة جديدة من التدريب نسميها نحن العسكريين التدريب المشترك وتتلخص فى خلق التزاوج بين الأسلحة المقاتلة المختلفة، فتجرى مشروعات تشترك فيها عناصر مختلفة من الأسلحة مشاة ومدرعات ومدفعية، يتم فيها تنفيذ صورة كاملة لمعركة الأسلحة المشتركة، وفى مثل هذه المشروعات راعينا أن تعمل كل مجموعة مع بعضها البعض مشكلة بنفس الأسلوب المتوقع خلال العمليات.

ولما كان العدو الإسرائيلى يعتمد فى نظريته العسكرية على القوات الجوية والمدرعات لذا كان لزاماً على رجال المدفعية أن يتعلموا كيف يدمرون الدبابات الإسرائيلية وكيف يعملون تحت ظروف القصف الجوى المركز ومن هنا بدأنا نهتم بأسلحة المدفعية المضادة للدبابات من مدافع عادية إلى صواريخ موجهة مضادة للدبابات، ووصلنا بمستوى الأفراد إلى أن يصيبوا الدبابة المتحركة بسرعة تصل إلى ٣٠كم ساعة من أول طلقة وعلى مسافات كبيرة، وكان أسلوبنا فى رفع كفاءة المسددين وعمال التوجيه هو أسلوب الحوافز والتشجيع فكانت الترقية من نصيب الأكفاء، والأجازات لا ينالها إلا من ينجح فى اختبارات خاصة دقيقة، وعملنا لكل رام كراسة صغيرة تسمى كراسة الرامى تسجل فيها نتائجه اليومية بحيث يمكن للقائد فى كل لحظة معرفة مستوى الفرد فى الرماية.

الصمود

بدأت هذه المرحلة بعد النكسة مباشرة واستمرت حتى أغسطس ١٩٦٨، وتتلخص الاستراتيجية الحربية المصرية فيها فيما يلى:

١- الالتزام بالهدوء وعدم جر العدو إلى معارك لإتاحة الفرصة للبناء.

٢- تجهيز الدفاع على جبهة القناة والوصول به إلى الدرجة التى تمكنه من

منع العدو من القيام بعمليات هجومية ناجحة، قد يقوم بها لفرض إرادته على مصر.

٣- ليس معنى الالتزام بالهدوء هو عدم الرد على أعمال العدو الاستفزازية بل من الممكن الرد عليه ولكن بحذر وحكمة معاً وتكبيده خسائر فى المعدات والأرواح حتى يعلم أنه أمام جبهة لازالت قادرة على القتال رغم الضربة التى تلقتها.

ولعبت المدفعية المصرية الدور الرئيسى فى مرحلة الصمود؛ لأنها كانت السلاح الوحيد الفعال فى ذلك الوقت، إذ كانت المدفعية ترد على أعمال العدو بقصفات نيرانية مؤثرة على قواته، ولقد أبدع رجال المدفعية وتفننوا فى تعاملهم مع قوات العدو خلال هذه الفترة بل لقد استغلت هذه الفترة للتدريب أثناء التراشقات، فكنت ترى قائداً خلال التراشق وقد تواجد فى مركز ملاحظة مدفعية قائم بالاشتباك وقد أمسك بساعة زمنية يقيم فيها ضابط مركز الملاحظة ويعلن له فى النهاية الدرجة التى تحصل عليها.

ولقد شهدت هذه المرحلة بعض الملاحم البطولية التى أظهرت المعدن الحقيقى للمقاتل المصرى، فكانت معركة رأس العش، وإغراق المدمرة إيلات وغير ذلك من الأعمال التى يعرفها الجميع.

معارك المدفعية

بعد أن تمكنت القوات المسلحة من إعادة بناء قواتها المسلحة جزئياً واستعادة قدرتها الدفاعية إلى حد لا بأس به، قررت القيادة العليا التحول إلى استراتيجية الدفاع النشط أو الدفاع الوقائى والتى كان الهدف منها:

١- عدم السماح لإسرائيل بتحويل خطوطها الحالية إلى خطوط بقاء تقوم بتحصينها.

٢- إقناع إسرائيل بأن الاحتفاظ بهذه الخطوط عبء مرهق تحت وطأة ضربات المدفعية المصرية.
٣- بقاء المشكلة الدولية ساخنة ليحس بها العالم ولا ينساها.
٤- رفع معنويات القوات المسلحة المصرية والشعب المصرى وبذلك نحبط المخطط الإسرائيلى عن الحرب النفسية ضدنا.

ولقد بنى تقدير الموقف المصرى لرد الفعل الإسرائيلى على أن إسرائيل أمامها أحد حلين فى حالة اتباعنا استراتيجية الدفاع الوقائى:

- أما أن تلجأ إلى شن حرب شاملة ضد مصر حتى تحتفظ لنفسها بالتفوق الذى أحرزته وتوقف النمو المطرد للقوة العسكرية المصرية وتئدها فى مهدها قبل أن يستفحل داؤها، وفى الوقت نفسه تستكمل انتصاراتها الضائعة وتفرض إرادتها وبذلك تنتهى إلى الأبد من مشكلة - فى رأيها - أنها تهدد الكيان الإسرائيلى ووجوده كله.
- أو أن تستمر فى سيطرتها على الأراضى التى تمكنت من الاستيلاء عليها فى عدوان ١٩٦٧، وتستمر فى محاولة تهويد أكبر جزء منها لفرض الأمر الواقع بمرور الزمن، رغم ما فى ذلك من تكاليف باهظة يتحملها الاقتصاد الإسرائيلى نتيجة احتفاظ إسرائيل بقوات عسكرية ضخمة معبأة لفترة طويلة، مع العمل على وقف التصاعد الذى قد يحدث على جبهة القناة بأسلوب العقاب أو الردع وذلك بقيامها بأعمال جيمس بوندية عسكرية محدودة ومركزة تحدث آثاراً مادية ونفسية مثل الإغارات على بعض المناطق النائية وغارات العمق وغير ذلك من الأعمال.

ولقد قررت الاستراتيجية المصرية المضى فى تنفيذ نظرية الدفاع الوقائى أو النشط انطلاقا من أن إسرائيل سوف تلجأ إلى الحل الثانى؛ لأن

الحل الأول غير مستطاع بالنسبة لها لأسباب استراتيجية كثيرة منها أن التوسع يزيد العبء على إسرائيل لفرض سيطرتها على أراضى شاسعة وأنه سيؤدى إلى ذوبان قواتها المسلحة ويستنزف جهدها ويجعلها أكثر تعرضاً لأعمال رد الفعل المحتملة، كما أن قواتها المسلحة ستفقد ميزة استنادها إلى مانع طبيعى قوى هو قناة السويس يضمن لها لفترة طويلة من الزمن عدم تعرضها لضربات مصرية مضادة واسعة النطاق، هذا بالإضافة إلى أن الخلفية السياسية العالمية غير مهيأة لشن حرب شاملة جديدة على العرب بعد أن تحولت إسرائيل بعد عدوان ١٩٦٧ من حمل وديع ضعيف إلى دولة قادرة جيشها لا يقهر.

٨ سبتمبر ١٩٦٨:

على الرغم من أن معارك المدفعية بدأت قبل هذا التاريخ (بدأت فعلاً من ٣٠ / ١ / ٦٨) إلا أن يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ يعتبر تحولاً كبيراً فى أعمال المدفعية المصرية على الجبهة المصرية حتى أن القوات المسلحة اعتبرت هذا التاريخ هو «يوم المدفعية» يقام فيه احتفال كبير تكريماً لها ولما قدمته من أعمال بطولية خلال العمليات.

تقرر فى يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ تنفيذ قصفة نيران مركزة قوية ضد جميع الأهداف المعادية على طول مواجهة قناة السويس وبعمق حتى ٢٠ كيلو متر بغرض:

(أ) تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة فى قوته البشرية وأسلحته ومعداته.

(ب) تدمير الخط الدفاعى الأول الذى بدأ يبنيه على شاطىء القناة.

(جـ) فرض السيطرة النيرانية للمدفعية على جبهة القناة.

(د) رفع معنويات قواتنا وإثبات أن جيش مصر قد هب من كبوته ليقول كلمته فى الصراع الدموى الدائر بين العرب وإسرائيل.

ولقد اشتركت جميع وحدات المدفعية على طول المواجهة فى هذا الاشتباك وأمكنها أن تكبد العدو فيه خسائر جسيمة كانت:

أسكات ١٧ بطارية مدفعية
تدمير ٦ بطارية مدفعية
تدمير ١٩ دبابة
تدمير ٣ عربة نصف جنزير
تدمير ٢٧ دشمة مدفع ماكينة
تدمير ٢ مدفع مضاد للدبابات
تدمير ٨ موقع صواريخ أرض / أرض
تدمير ٢ مخزن ذخيرة
تدمير ٤ مخزن وقود ومناطق إدارية
تدمير ١٣ لورى

وكانت هذه الخسائر هى التى أمكن رصدها بالعين المجردة وما خفى كان أعظم، ولكن قيادتنا حرصت على أن تكون بياناتها مؤكدة لبث الثقة فى النفوس.

ولقد كان للتخطيط والتحضير الجيد والسرية فى تنفيذ العملية أثر كبير فى نجاح هذا الاشتباك وتنفيذ المهمة بكفاءة تامة حققت المفاجأة التامة للعدو، وتم فى الوقت نفسه معاونة عبور الداوريات، والتى نجحت أعمالها بفضل التعاون الجيد بين المدفعية وهذه الداوريات.

ولقد نجحت المدفعية المصرية فى تنفيذ هذه المهمة وفرض تفوقها النيرانى على أرض المعركة للأسباب التالية:

(أ) كان هذا الاشتباك هو أول اشتباك تم التخطيط له بدقة ونفذ على طول المواجهة.

(ب) تم تأكيد وتدقيق جميع الأهداف المعادية وحددت أماكنها بدرجة عالية من الدقة لتكون النيران مؤثرة للغاية.

(جـ) تواجد جميع قادة المدفعية على مختلف المستويات فى مراكز ملاحظة تشرف على أرض المعركة.

(د) استخدمت أساليب حديثة فى إدارة النيران.

(هـ) كان لدقة نيران المدفعية فى هذه القصفة الأثر الكبير فى تدمير معظم أهداف العدو، وتعتبر المهمة قد حققت الغرض منها وهى تدمير الصواريخ أرض / أرض - ٢١٦م كمهمة أساسية؛ لأنها كانت تهدد مدن القناة.

قصفات نيرانية هامة:

بعد ٨ سبتمبر المجيد، يوم المدفعية المصرية، الذى فرضت فيه المدفعية المصرية نفسها على المعركة، كان لزاما عليها أن تحافظ على هذا التفوق وأن تؤكد أنها ذراع القوات المسلحة القوى الذى يمكنها به أن تؤكد الصمود وتردع العدو عند اللزوم.

قررت القيادة العامة للقوات المسلحة تخطيط قصفات نيرانية مركزة على قوات العدو الإسرائيلى. وقامت قيادات المدفعية على جميع المستويات بالتخطيط التفصيلى لتنفيذ هذا المخطط فقامت بما يلى:

(أ) الاستطلاع التفصيلى لجميع الأهداف ودراستها ودراسة طبيعة تحصيناتها.

(ب) اختيار أنسب الأعيرة التى تتفق مع درجة التحصين لكل هدف.

(جـ) إجراء الأعمال المساحية الدقيقة لضمان سقوط جميع الطلقات على الهدف تطبيقاً لمبدأ الاقتصاد.

وأخذت المدفعية المصرية تهدر يومياً، ليلاً ونهاراً، تصب الحمم على

العدو وتعرقل تحركاته وتحيل حياته على ضفاف القناة إلى جحيم لا يطاق.. وأخذت خسائر العدو تتزايد يوماً بعد يوم.

وتميزت أعمال المدفعية خلال هذه الفترة حتى فبراير ١٩٦٩ بالنشاط النيرانى القوى، والتفوق على مدفعية العدو، ونجاح ضربات المدفعية فى أحداث خسائر مادية ومعنوية جسيمة فى العدو الإسرائيلى. وأصبحت إسرائيل تواجه موقفاً غير طبيعى، فخسائرها فى الأرواح على جبهة القناة تتزايد يوماً بعد يوم نتيجة القصف المدفعى لمواقعها شرق القناة. وبدأت الصورة تهتز فى نفوس جنودها. وعلى ضوء ذلك لم يكن أمامها إلا أن تلجأ للأسلوب الاستراتيجى التقليدى وهو القيام بأعمال الردع العسكرى. وتحت الظروف السائدة وقتذاك حددت إسرائيل مدى هذا الأسلوب وطريقته، ورأت أن ينحصر داخل نطاق الرد على الأعمال العسكرية، وعلى أن تكون الأهداف ذات نوعية خاصة ليكون لها تأثير نفسى وسياسى داخلى وخارجى وتحت سيطرة حتى لا يؤدى ذلك إلى تدهور مفاجىء فى الموقف العسكرى. وكانت الإغارة على نجع حمادى فى أول نوفمبر ١٩٦٨، والإغارة ضد مطار بيروت فى ديسمبر ١٩٦٨. وكانت الحسابات الاستراتيجية الإسرائيلية تهدف إلى إبطال أعمال القصف النيرانى الذى قامت به المدفعية المصرية على جبهة القناة. ولكن نتائج هذه الأعمال كانت عكس ما توقعوا، وفشل إسلوب «الردع المحدود» وكانت له آثار ضارة على الموقف السياسى العالمى لإسرائيل إذ استنكرت معظم دول العالم هذه الأعمال.

الاستنزاف

وبينما توقعت القيادة الإسرائيلية ان استراتيجية الردع المحددة ستؤتى

ثمارها قررت القيادة المصرية التحول إلى مرحلة الاستنزاف. وبدأت القوات المسلحة المصرية فى مارس ١٩٦٩ تنفيذ خطة تدمير خط التحصينات الذى أقامته إسرائيل على ضفاف القناة. وفى الثامن من مارس تمكنت المدفعية المصرية من تدمير الجزء الأكبر من هذا الخط بعد قصف استمر لمدة خمس ساعات مستمرة. وتم التخطيط لمنع العدو من استعادة كفاءة هذه التجهيزات باستمرار القصف المدفعى عليها فى حالة قيامه بمحاولة استعادة كفاءتها. وخصصت وحدات من المدفعية مهمتها عرقلة التحركات فى مسرح العمليات بل ومنعها. ووصلت وحدات المدفعية فى ذلك إلى مستوى عال من الكفاءة النادرة. ولقد رأيت بنفسى ضابط مدفعية فى مركز الملاحظة تمكن من تدمير عربة نصف مجنزرة لحظة دخولها إلى نقطة قوية رغم أنها كانت تتحرك خلف ساتر ترابى لايظهر منها إلا هوائى الجهاز اللاسلكى. فلقد تمكن هذا الضابط من دراسة أسلوب تحرك هذه العربة الذى تكرر لعدة أيام، وتمكن أن يحدد سرعتها تماماً وطريق تحركها، وأجرى على ذلك عدة تجارب صامتة، وقام بحساب الزمن الذى تستغرقه دانة مدفعة إلى مدخل النقطة القوية وبالتالى حدد المكان الذى بوصول العربة إليه يجب أن تنطلق الدانة لتتقابل مع العربة عند مدخل النقطة القوية. وكان له ما أراد وسقطت الدانة إصابة مباشرة فى العربة التى انفجرت وكان بها ثمانية ضباط إسرائيليين قتلوا جميعاً، وكوفىء الضابط وسريته على ذلك مكافأة سخية من السيد وزير الحربية.

وتطورت حرب الاستنزاف فبدأت أعمال العبور للقوات المسلحة المصرية بمجموعات صغيرة ثم أغارت بأحجام أكبر وصلت إلى الكتيبة. ونجحت أعمال الإغارات وتحولت من نصب الكمائن إلى الإغارة على النقط القوية. وعلى سبيل المثال لا الحصر فى يوم ٣ / ١٠ / ٦٩ تمت

الإغارة على النقطة القوية للدفرزوار فقامت المدفعية بستر عملية عبور المانع المائى والوصول إلى مداخل النقطة القوية بأن صبت على النقطة كمية كبيرة من النيران. وتمكنت قوة الإغارة بعد رفع نيران المدفعية من اقتحامها وتدمير من بداخلها وكانت خسائر العدو فى هذه النقطة تدمير ٢ دبابة، و ٤ موقع صواريخ، وقتل عدد كبير من الأفراد.

وأظهرت هذه الإغارة المستوى العالى الذى وصلت إليه قواتنا فى نواحى تنظيم التعاون بين قائد مجموعة الإغارة وضابط المدفعية المرافق له، والمستوى الرفيع لوحدات المدفعية فى دقة النيران وإضاءة أرض المعركة وعزل المنطقة ومنع احتياطيات العدو القريبة من التدخل. كما تمكنت من إسكات بطاريات مدفعية العدو فور اكتشافها ومنعها من ضرب قوة الإغارة أثناء عملها داخل النقطة القوية وأثناء انسحابها وعودتها سالمة إلى الضفة الغربية.

ومثال آخر هو الإغارة على لسان بور توفيق يوم ١٠ / ٧ / ١٩٦٩ وما أظهرته المدفعية من قدرة على معاونة قوة الإغارة بكفاءة عالية.. فلقد استمرت الحرائق بأهداف اللسان نتيجة ضرب المدفعية لعدة ساعات، وتمكنت المدفعية من تدمير ٥ دبابات أحداها عند مدخل اللسان حاولت نجدة الدبابات الأخرى الموجودة على اللسان، وظهرت جميعها وهى مشتعلة ولمدة طويلة. وتمكنت قوة الإغارة من قتل حوالى ٤٠ فرداً وتم أسر جندى، ولقد صدق السيد رئيس الجمهورية فى نفس الليلة على منح جميع الأفراد المشتركين نوط الشجاعة.

وهكذا كان طبيعياً أن تحاول إسرائيل الانتقام من عمليات الاستنزاف المصرية ففكرت فى استراتيجية «الردع الجسيم» باستخدام القوات الجوية كأداة ردع عنيفة يمكن أن تحسم الموقف وتجبر مصر على إيقاف استراتيجية

الاستنزاف الدامى. وبلورت القيادة الإسرائيلية خطتها لذلك فقررت تعطيل وإرباك آلة الحرب المصرية وشل قدرتها على العمل الإيجابى، وتوجيه ضربات قوية إلى نفسية ومعنويات الشعب المصرى لإضعاف وحدته والعمل على انهياره من الداخل. وساعدها على اتخاذ هذا القرار وصول شحنات من طائرات «سكاى هوك» الأمريكية واستيعاب قواتها الجوية لها، كما أن طائرات «الفانتوم» كانت على وشك الوصول إلى إسرائيل «أول دفعة فى سبتمبر ١٩٦٩» بعد إتمام تدريب الطيارين والفنيين على استخدامها. وكانت أهداف إسرائيل العسكرية من هذا المخطط هى :-

(أ) تدمير نظام الدفاع الجوى المصرى، والقوات الجوية المصرية وبذلك تتحقق لها القدرة على تنفيذ استراتيجية الردع الجسيم بعد أن تتحقق لها السيادة الجوية الكاملة.

(ب) إسكات النشاط العسكرى المصرى المؤثر فى منطقة القناة وإحباط حرب الاستنزاف التى بدأتها مصر.

(جـ) عرقلة بناء القوات المسلحة المصرية وبذلك تموت فكرة إمكانية شن حرب هجومية لتحرير الأرض.

(د) نقل الإحساس بوطأة الحرب إلى الأراضى المصرية والشعب المصرى وبذلك لا يكون أمام مصر إلا التراجع عن مواصلة القتال أو تتصدع الجبهة الداخلية. ويتحقق ذلك بغارات العمق أو استراتيجية البعد الثالث كما كان يحلو للبعض أن يسموها.

ووضعت إسرائيل خطتها لتنفيذ هذه الأهداف الاستراتيجية وقسمتها إلى ثلاث مراحل أو ثلاثة أبعاد :

البعد الأول: ويتم فيه شن غارات جوية ضد القوات المصرية المتمركزة

على طول جبهة القناة مع التركيز ضد عناصر الدفاع الجوى ووحدات المدفعية.

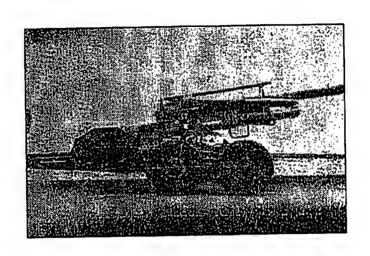
البعد الثاني: وتزيد فيه من نشاط القوات الجوية ليشمل سواحل خليج السويس.

البعد الثالث: وفيه تنفيذ غارات العمق مع استمرار الغارات على الجبهة أيضاً.

ولكى لا أطيل الحديث فى دراسة الخطة الإسرائيلية ومدى نجاحها أو فشلها، وما هو رد فعل القيادة المصرية إزاء ذلك سيقتصر حديثى على تأثير هذا المخطط على أعمال المدفعية بالجبهة،وكيف أمكن لنا إحباط عمل القوات الجوية الإسرائيلية ومنعها من تدمير المصدر الرئيسى للنيران بالقوات المسلحة المصرية وهو المدفعية.

وأحب أن أنوه هنا - قبل أن أتعرض للمدفعية - بأن القوات المصرية أستمرت - رغم المخطط الإسرائيلى - تمارس أعمالها العسكرية المتنوعة. وازداد حجم أعمال الدوريات والكمائن وقصفات نيران المدفعية.

تعرضت المدفعية المصرية لتركيز شديد من الطيران الإسرائيلى بهدف بتر اليد الطويلة للقوات المسلحة المصرية، وبالتالى تقليل الخسائر البشرية التى بدأت تزعج المجتمع الإسرائيلى وتهز إسرائيل من الداخل. ويكفى أن أقدم بعض الإحصائيات التى قامت بها قيادة مدفعية الجيش الثانى ضمن دراسة علمية، قامت بها لتطوير طريقة وأسلوب عمل المدفعية المصرية، ليتضح مدى ما تعرضت له المدفعية المصرية من قصف عنيف. وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف قصف المدفعية المصرية للمواقع الإسرائيلية لحظة واحدة.



مدفع ميدان مجرور

وهذه أمثلة قليلة من الكثير لتوضيح محاولة العدو الإسرائيلى إسكات المدفعية المصرية مستخدماً طيرانه بعد أن فشلت مدفعيته فى ذلك.

فهل تمكنت القوات الجوية الإسرائيلية من إسكات المدفعية المصرية؟ أن الرد على هذا السؤال توضحه أمثلة قليلة أيضاً عن أعمال المدفعية خلال الفترة من أول يناير ١٩٧٠ وحتى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ فى قطاع الجيش الثانى الميدانى:

التاريخ	الخطة التى نفذتها	خسائر العدو	الأهداف التى ضربت
٧٠/٤/٢٩	قصفة نيران باسم انتقام	تدمير ٦٨ فرغل، وتكسير ٤٠ دشمة، وإسكات ١٥ بطارية.	جميع الدشم الموجودة فى مواجهة
٧٠/٦/١٠	قصفة نيران باسم هدير	إسكات ١٤ بطارية للعدو، تدمير رتل للعدو، إسكات ١٢ نقطة قوية للعدو، تدمير ١٤ عربة، واحد دبابة، تهايل معظم الدشم.	الجيش وجميع الأهداف والبطاريات فى القطاع الشمالى من الجبهة
٧٠/٦/٢٠	قصفة نيران	إسكات ٢ بطارية للعدو، تدمير ٤ بلدوزر، تدمير عدد من الدشم، قفل جميع فراغل الدشم.	فى القطاعين الأوسط والشمالى
٧٠/٧/٢٩	قصفة نيران بالصواريخ	الخسائر غير متطورة ولكن إدارة المخابرت تحصلت على معلومات تفيد حدوث خسائر جسيمة فى الأرواح والمعدات.	هدف فى العمق
٧٠/٥/٣٠	معاونة كمين فى القطاع الشمالى		عزل منطقة الكمين بالنيران
ليلة ٩٢-٣٠ إبريل ١٩٧٠	معاونة إغارة على نقطة قوية	إسكات ٦ بطارية معادية، ستر قوة الإغارة أثناء عبورها وعودتها ومنع دبابات العدو من الوصول إلى مكان الإغارة، تدمير عدد من القوارب، خسائر بشرية جسيمة،	إسكات ٢ بطارية معادية تدمير ٢ دبابة القطاع الشمالى
ليلة ١١-١٢ ١٩٧٠/٦	منع محاولة للعدو للعبور ومهاجمة الكاب والتينة	فشلت الإغارة بفضل المدفعية ونيرانها المؤثرة، حاكمت إسرائيل قائد القوة لفشله.	قوة إغارة للعدو تقدر بسرية مشاة

جدول يوضح أمثلة عدد الغارات الجوية التى تعرضت لها بعض وحدات المدفعية خلال الفترة من مارس ١٩٧٠ حتى آخر يونيو ١٩٧٠

التاريخ	الوحدة	مدة القصف الجوى	عدد الطائرات	أنواع القنابل
١٣ مايو	سرية	٨٥ ق	٢٤ طلعة/ طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ رطل، ١٠٠٠ رطل
٧ مارس	سرية	٤٠ ق	١٨ طلعة/ طائرة	قنابل زنة ٢٥٠ رطل، ٥٠٠ رطل
١٣ إبريل	سرية	١٠ ق	٤ طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ رطل، ١٠٠٠ رطل
١٣ إبريل	كتيبة	٤٥ ق	٢٤ طلعة/ طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ رطل، ١٠٠٠ رطل
١٥ إبريل	كتيبة	٤٥ ق	٢٤ طلعة/ طائرة	« « «
٢٠ إبريل	كتيبة	٦٠ ق	١٨ طلعة/ طائرة	« « «
١ مايو	كتيبة	١٥ ق	٤ طائرة	« « «
	كتيبة	٥ ساعة	٧٠ طلعة/ طائرة	« « «
	كتيبة	١٥ دقيقة	١٢ طلعة / طائرة	« « «
	كتيبة	٢٠ دقيقة	١٢ طلعة / طائرة	« « «
	كتيبة	١٢ دقيقة	١٠ طلعة / طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ رطل، ١٠٠٠ رطل
	«	١٥ دقيقة	١٢ طلعة/ طائرة	« « «
	«	١٠ دقيقة	٤ طائرة	« « «
٦ مايو	«	١٥ دقيقة	١٢ طلعة/ طائرة	« « «
٧ مايو	«	١٥ دقيقة	١٢ طلعة/ طائرة	« « «
٨ مايو	«	٢٠ دقيقة	١٢ طلعة/ طائرة	« « «
٩ مايو	«	١,٥ ساعة	٤٠ طلعة/ طائرة	« « «
١٨ مايو	«	٤٥ دقيقة	١٨ طلعة/ طائرة	« « «
٥ يونيو	«	٤٥ دقيقة	٢٤ طلعة/ طائرة	« « «
٧ يونيو	«	٤٥ دقيقة	٢٤ طلعة/ طائرة	« « «
٩ يونيو	«	٤٥ دقيقة	٣٦ طلعة / طائرة	« « «
٥ أغسطس	«	١١٥ دقيقة	٤٠ طلعة/ طائرة	« « «

وهناك عشرات من الأعمال الأخرى لا محل للحديث عنها هنا أولا لأن الهدف من هذا الكتاب الحديث عن المدفعية خلال عمليات أكتوبر وثانياً لأنها ستأخذ حيزاً كبيراً من الكتاب لا داعي له.

وصف لحرب الاستنزاف لضابط هندى كبير:

«يصف الكولونيل ب. ك نارايان حرب الاستنزاف فى كتابه «الحرب الإسرائيلية العربية الرابعة» يقول:

«إن المرحلة الثانية تغطى الفترة من مارس ١٩٦٩ حتى أغسطس ١٩٧٠. ولقد عرفت هذه الفترة باسم «حرب الاستنزاف» (war of attrition). وكانت حرب الاستنزاف امتداد لمبدأ حرب العصابات التى أعطت القوة العسكرية الأضعف القدرة على الصمود ضد قوات نظامية عدوانية محتلة، مسببة خسائر فى الرجال والعتاد استمرت لفترة طويلة. وكان الهدف هو إشعار العدو بأنه غير آمن وتؤثر فى معنوياته وفى رغبته فى البقاء، وتجبره على استخدام قوات أكبر لتأمين خطوط مواصلاته ومنشآته إلى أن يقتنع بأن بقاءه فى الجبهة والتمسك بهذه الخطوط لا طائل من ورائه. لقد كانت حركة مقاومة ابتدائية تهدف إلى تمزيق العدو. لم تكن مصر فى عام ١٩٦٩ قادرة على مواجهة الجيش الإسرائيلى فى حرب شاملة ولكنها كانت قادرة على أن تستمر فى القتال لفترة طويلة مع الاحتفاظ بالصراع فى حدود معينة حتى تشعر القوات الإسرائيلية بضغط قصور القوة البشرية لأن عليها أن تحتفظ بقوات احتياطية كبيرة معبأة الأمر الذى يثقل كاهل اقتصاد إسرائيل.

لقد بدأت حرب الاستنزاف بقصف نيرانى مستمر من المدفعية المصرية ضد المواقع الإسرائيلية على طول مواجهة القناة. ولما لم يكن فى مقدور المدفعية الإسرائيلية أن تسكت المدفعية المصرية فلقد اضطرت إلى القيام

بتوجيه ضربات جوية فى يوليو ١٩٦٩ ضد مرابض نيران المدفعية المصرية ولكن هذه الضربات لم تنجح فى التقليل من تأثير المدفعية المصرية. ولذلك قررت إسرائيل شن حرب استنزاف ضد مصر بالقيام بغارات فى عمق الأراضى المصرية».

«لقد أثبتت حرب الاستنزاف للمصريين أن المثابرة والعزيمة هما الضمان الرئيسى للنجاح. كما اكتسبت القوة المصرية خبرة فى مواجهة الغارات الجوية الإسرائيلية والتكتيكات البرية بعد أن استوعبت الأسلحة السوفيتية الحديثة. وبدلاً من الحرب الخاطفة ذات النتائج السريعة البراقة التى اعتادها جيش إسرائيل اضطرت إسرائيل إلى أن تقوم بحرب دفاعية ثابتة وتكتيكات دفاعية ضد الإغارات المصرية. ولقد حزن الإسرائيليون لهذا الانقلاب الجديد فى الموقف العسكرى والسياسى والذى فرض على إسرائيل اتباع الحذر وأن تصرف النظر عن غارات العمق».

ومن هذا الوصف يتضح مدى تأثير الأعمال القتالية العظيمة التى قامت بها المدفعية المصرية والتى أدت إلى تغيير جذرى فى الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية وأجبرت إسرائيل على إدارة حرب دفاعية لم تتعودها. وبدأت تحس وطأة خسائر القوة البشرية الناجمة من الضربات النيرانية القوية التى وجهتها المدفعية المصرية لقواتها.

وقف إطلاق النار وبناء خط بارليف

وفى ٨ أغسطس ١٩٧٠ قبلت مصر وسوريا وإسرائيل وقف إطلاق النيران[١] المؤقت. وكانت مصر قد تمكنت من تدعيم دفاعها الجوى فى جبهة قناة السويس الأمر الذى نتج عنه حدوث خسائر جسيمة فى الطيران الإسرائيلى الأمر الذى أجبر إسرائيل على قبول وقف إطلاق النار.

---

(١) أذاعت وكالات الأنباء فى ٣٠ أغسطس ١٩٧٠ تصريحاً لأبا إيبان قال فيه «لولا وقف إطلاق النار لواجهت إسرائيل تصاعداً فى الحرب مع مصر، وبالتالى زيادة القتلى والجرحى وتآكل التفوق الجوى الإسرائيلى... أن رفض وقف إطلاق النار يضع إسرائيل فى موقف أخطر وأشد صعوبة مما هو الآن».

واستفادت مصر من فترة وقف إطلاق النار فى استكمال بناء شبكة الدفاع الجوى عن الجمهورية. وبدأ لكل رجل عسكرى أن هذا النظام المتكامل فى الدفاع الجوى المصرى سيكون له تأثير كبير على أى نشاط عدوانى جوى إسرائيلى جديد. كما أن هذه الحماية ستطلق يد المدفعية المصرية فى تدمير الخطوط الدفاعية الإسرائيلية، وبالتالى تزداد الخسائر البشرية والمادية فى القوات المعتدية.

وبدأت القيادة الإسرائيلية فى بناء خط بارليف لوقاية قواتها من نيران المدفعية المصرية ومن قنابل الطائرات المصرية.

خط بارليف الحصين:

يصف كتاب حرب عيد الغفران «كيبور» خط بارليف من وجهة النظر الإسرائيلية واعتقد أنه من المفيد أن نطلع عليها، فالكتاب يقول:

«لقد تكلف بناء خط بارليف ما يقرب من مليارين من الليرات الإسرائيلية وهو مبلغ ضخم بالنسبة لإسرائيل، وكما فعلت فرنسا عام ١٩٣٩ (بالنسبة لخط ماجينو) فإن إسرائيل كانت تغط فى نومها وراء هذا الحصن الرائع الجميل.

لقد كانت الضرورة هى التى أملت بناء هذا الخط. فحتى يونيو ١٩٦٧ كان متفقا على أن الحرب إذا وقعت فإن القتال سيدور فى أرض العدو. ونتيجة للشكل الجغرافى لإسرائيل بتلك الحدود التى لا نهاية لها، والتى لا معنى لها نظراً لأن المسافة فى بعض المناطق بين الحدود والبحر لا تكاد تصل إلى ١٨ كيلو متراً، فإنه لم يكن أمام إسرائيل أى تكتيك آخر، وترتيباً على ذلك فإن الجيش الإسرائيلى كان لابد له أن يكون جيشاً هجومياً خفيف الحركة قادراً على أن يباشر الهجوم على الفور. وكان الضباط الإسرائيليون الكبار على ثقة من أنه حتى فى حالة وقوع هجوم

مصرى فإن الجيش الإسرائيلى سيكون قادراً على مجابهة المهاجمين وإعادتهم من حيث جاءوا بعد السياسة المحضة هى التى كانت لها الغلبة. وكانت أهم هذه النظرية، غير أنه عندما تعين اتخاذ قرار تكتيكى دفاعى فإن الاعتبارات السياسية المحضة هى التى كانت لها الغلبة. وكانت أهم هذه الاعتبارات ما أوحت به رغبة إسرائيل فى أن تحتفظ بقواتها على ضفة القنال لكى تخلق حالة واقعة، ولكى تجعل المصريين يدركون ومعهم العالم بأكمله، أن القناة لا يمكن فتحها للملاحة إلا بتنفيذ الشروط التى أعربت عنها إسرائيل. وعلى ذلك فإنه كان على الإسرائيلين أن يلتصقوا بضفة القناة. وفى البداية عمدت هذه القوات إلى بناء خنادق لها على طول الممر المائى فى مواقع مؤقتة على نحو أو آخر. فلما شن المصريون حرب الاستنزاف وعرضوا الضفة الشرقية لنيران مستمرة من مدفعيتهم حسنت القوات الإسرائيلية من مواقعها وراحت تشيد الحصون لتكفل لهما الحماية.

وكان الأمر عند ذلك مجرد حرب ثابتة تعيد إلى الذاكرة من نواح كثيرة حرب الخنادق الشهيرة فى الحرب العالمية الأولى.

ومن أجل دعم هذه الحرب المستمرة التى راح ضحيتها مئات من جنود الوحدات الرابضة فى الخنادق على طول ضفة القناة فلقد أصبح ضرورياً توفير حماية عاجلة لهذه القوات وكان أول من وضع خططاً لخط من المواقع الحصينة هو الجنرال إبراهام آدان. وكان يتوقع أن تجهز هذه المواقع بالأجهزة الإلكترونية التى من شأنها إعطاء الإنذار إلى قوات المؤخرة وبذلك يقضى على كل محاولة مصرية لعبور القناة.

كان المشروع يقضى ببناء دشم قوية حول المحاور الأربعة التى تبدأ عند القناة ثم تتغلغل داخل سيناء فى اتجاه الممرات الاستراتيجية فى شبه

جزيرة سيناء وقد بنيت المواقع وأغلبيتها فى مجموعات متقاربة بهدف أن يقوم كل منها بتغطية الأخرى فى حالة تعرضها للهجوم. وكانت المواقع الرئيسية الأربعة هى التى أقيمت فى كل من بور توفيق (فى مواجهة السويس) وفى الوسط (فى مواجهة الإسماعيلية) وفى محور القنطرة، وعلى بعد عشرة كيلو مترات من بورفؤاد.

ولم تكن شبكة هذه الحصون - وقد بلغت فى مجموعها ٣٦ - تمثل سوى جزءاً من مجموع الخط الذى كانت تدخل عليه التحسينات عاماً بعد عام فيزداد قوة وتدعيماً. واستمر البناء فيه شهوراً طويلة، ولقد استخدمت فى البناء عشرات الجرارات والبولدوزرات، وجاءات آلاف السيارات محملة بالأحجار من الشمال لكى تفرغ حمولتها من أجل إنشاء المصطبة المضادة للقنابل. ولاختبار صلابة هذه الحماية قام الجيش الإسرائيلى عمداً بضربها بدانات المدافع السوفيتية التى غنمها فى حرب الأيام الستة.

وسرعان ما أصبحت هذه المواقع أماكن إقامة حقيقية بها كل من وسائل الراحة، من أجهزة اتصال محسنة، وأجهزة لتكييف الهواء، ومراوح، ومياه جارية، وخزائن لحفظ الطعام. وكان كل موقع منها يشبه من الخارج إحدى قلاع العصور الوسطى، وقد بدأ كالدبابة العملاقة القادرة على أن تقابل بوسائلها الخاصة وأن تتحمل الحصار الطويل. ولقد زود شاغلوا هذه المواقع بقوة نيران كبيرة نسبياً ولا تستدعى إلا عدداً صغيراً من الأفراد يطلقوها. وكان يتعين أن يحتل كل منها ما بين ٣٠، ٣٥ فرداً لضمان توفير استقلال ذاتى لها فى القتال وتحمل أى هجوم من قوات تفوقهم عدداً. وتبعاً للحسابات التى أجراها الخبراء فإن هذه المواقع كانت قادرة على أن تقاوم لمدة أسبوع لواء من المدرعات. وكانت المواقع مزودة «من

جانبها» بمدافع الميدان وبالرشاشات الثقيلة والخفيفة ولكنها لم تزود عمليا بالأسلحة المضادة للدبابات.

ومع مضى الشهور تحولت المواقع الحصينة لكى تصبح أغلى الشقق فى إسرائيل فلقد استنفدت كل منها عشرات الملايين من الليرات الإسرائيلية واستخدم فيها آلاف من العمال والخبراء لبنائها. ولم يكن أى جيش عصرى فى العالم ليستحق كل هذه الظروف المرهفة للحياة فى أى موقع متقدم فيه كل الأجهزة اللازمة.

كانت غرف الجنود فى الدشم مزودة بحماية كافية وكان هناك عدد كبير من مخازن الأطعمة المزودة بالمطابخ الكهربائية الحديثة التى تتيح للجنود الذين يعملون بها قضاء خدماتهم فى أفضل الظروف.

ولقد أنجز بناء خط بارليف على ثلاث مراحل ففى المرحلة الأولى وحتى القصف الكبير عام ١٩٦٨ فإن الضرب المستمر قد أثبت أن المواقع لا تصمد لقوة تلك النيران، وأن الإبقاء على الجنود فى تلك الظروف كان يعادل تعريضهم للانتحار واستغرقت المرحلة الثانية كل الفترة التى دارت فيها حرب الاستنزاف حتى أغسطس ١٩٧٠.

وفى أول وقف إطلاق النار الذى استمر ثلاثة شهور كان هناك سباق حقيقى مع الزمن فلقد كانوا يخشون أن تعود المدافع المصرية لكى تدوى بعد تلك الشهور فأخذوا يعملون فى تطوير المواقع المدمرة التى أصبح عدد كبير منها خرائب وحطاماً وفى خلال هذه الشهور الثلاثة من وقف إطلاق النار وحدها أنفقت على الخط ثلاثون مليوناً من الليرات.

هذا ما يقوله الإسرائيليون عن خط بارليف وهو يوضح مدى اعتمادهم على هذا الخط لوقاية قواتهم ومنع قواتنا من اقتحام القناة.

واعتمد الإسرائيليون فى بناء خط بارليف على ما يلى :-

١- نتائج الخبرة المكتسبة من تحصينات مسارح الحرب المعاصرة بما فى ذلك حرب فيتنام.

٢- دراسة كاملة لإمكانيات دانات المدفعية وقنابل الطائرات المصرية.

٣- اختيار أماكن النقط الحصينة التى ستنشأ بحيث تسيطر على مناطق العبور المحتملة لقناة السويس وعلى طرق الاقتراب إلى القناة. ولن يتحقق بينها تعاون بالنيران.

٤- مبدأ الدفاع المتحرك الذى يعتمد أساساً على الهجمات والضربات المضادة باحتياطيات محلية وقريبة وتكتيكية وتعبوية كل من القوات المدرعة ذات قوة الصدمة وخفة الحركة والقدرة على عبور جميع أنواع الأراضى، وكذا غطاء جوى قوى يؤمن حركة هذه الاحتياطيات وضرباتها.

وعليه بنت إسرائيل خطاً حصيناً اطلقت عليه اسم «حاييم بارليف» الذى كان رئيساً لأركان القوات الإسرائيلية وهو الذى اقترح بناء هذا الخط.

ويتكون خط بارليف من ٢٢ موقعاً حصينا تضم ٣١ نقطة حصينة تسع كل نقطة قوة من المشاة أو القوات الخاصة تصل إلى أكثر من فصيلة مسلحة تسليحاً خاصاً. ويوجد فى معظم هذه النقط عدد من الدبابات والهاونات وقطع المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات وكل نقطة حصينة عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض، وتبلغ مساحتها حوالى ٤٠٠٠ متر مربع.

ولقد زودت كل نقطة بعدد من الملاجىء والدشم جميعا قادرة على تحمل القصف الجوى أو ضرب المدفعية الثقيلة بفضل الطريقة التى بنيت بها والتى تعتمد على شكاير الرمل والقضبان الحديدية والبلاطات

الخرسانية والدبش وغير ذلك المواد (أنظر شكل ؟!).

وجهزت كل دشمة بعدة فتحات لأسلحة المدفعية والدبابات، وتتصل جميع الدشم ببعضها البعض بواسطة خنادق مواصلات عميقة مكساة بألواح من الصاج أو الصلب وشكاير الرمل. كما جهزت كل نقطة بحيث يمكنها تحقيق الدفاع الدائرى، كما قسمت إلى أجزاء يمكن لكل منها أن يقاوم ويدافع دفاعاً دائرياً إذا ما سقط الجزء أو الأجزاء المجاورة له.

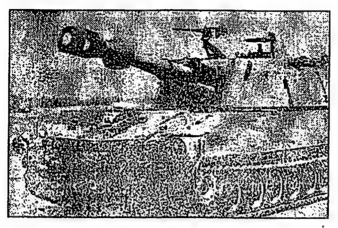
ويوجد بداخلها عدد من مرابض الدبابات والعربات المدرعة وبعض الرشاشات المضادة للطائرات والرشاشات المتوسطة والهاونات ومواقع الصواريخ أرض-أرض كما توجد بها منطقة شئون إدارية بها حمامات وأدبخانات «دورات مياه» ونقط ملء وبعض الأكشاك وأنشىء بها سواتر عرضية وطولية بغرض تحديد انتشار الشظايا وتأثير موجة الضغط الناتجة من انفجار دانات المدفعية، كما تستخدم عند الضرورة لتوفير عمق للنقطة فى حالة استيلاء قواتنا على الساتر الأول. ولكل نقطة قوية من واحد إلى ٢ مدخل تتحكم فيها أسلحة تضرب على خط ثابت ليلاً كما زود العدو النقطة القوية من الداخل بأسلاك شائكة تتخللها ممرات ملتوية وذلك بغرض زيادة زمن تعرض قواتنا إذا ما نجحت فى دخول النقطة وبالتالى تكون لديه الفرصة للقضاء عليها.

وكان ارتفاع الساتر الترابى المحيط الذى يمثل المحيط الخارجى للنقطة القوية من العلو بحيث يحقق لها الحركة المستمرة داخل النقطة، وميدان ضرب نار جيد حولها، وسيطرة بالنيران على مياه القناة فى مواجهة النقطة وعلى أجنابها. وجهز هذا الساتر بشبكة من الخنادق وحفر الأسلحة لتحقيق الدفاع الدائرى.

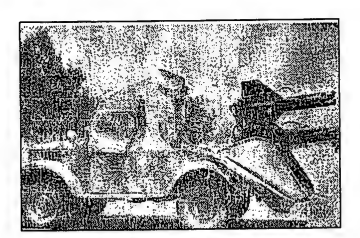
ولزيادة مناعة النقط الحصينة احاطها العدو بنطاقات كثيفة من

الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المرتفعة الكثافة والعميقة حتى يحدد الاتجاهات التى يتحتم على القوات المصرية منها اقتحام النقط وبذلك يسهل تدمير قوة الاقتحام. وقام بتوصيل نقطه القوية ببعضها البعض بواسطة مدقات قام برصفها حتى يخفى تحركاته؛ لأن المدقات الترابية ينتج عنه غبار عند التحرك عليها.

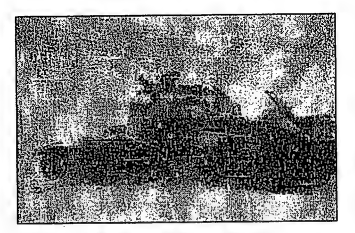
كما بنى العدو الإسرائيلى موقعان حصينان لبطاريتين مدفعية أحدهما شرق بورفؤاد لضرب منه مدينتى بورفؤاد وبورسعيد، والآخر فى عيون موسى ليضرب منه مدينة السويس والزيتية.



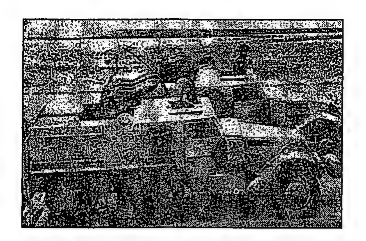
مدفع ذاتى الحركة



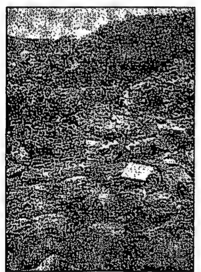
صاروخ موجه مضاد للدبابات على عربة خفيفة



دبابة إسرائيلية دمرتها نيران المدفعية



صواريخ موجهة مضادة للدبابات على عربة مدرعة



آثار ضرب المدفعية على نقطة قوية

الوصف العام للملجأ الحصين «الدشمة»

يتكون الملجأ أو الدشمة الحصينة من:

(أ) ملجأ حديد مكسى بألواح صاج معرج حوله أكتاف من شكاير الرمل والحجارة بارتفاع ٢,٢٥ متر وعرض حتى ٢ متر يستند عليها من أعلى طبقة من قضبان السكك الحديدية (٤ صفوف فوق بعضها البعض) ويملأ الفراغ بين سطح الملجأ وقضبان السكك الحديدية بالرمال (حتى ٥٠سم).

(ب) يلى ذلك طبقة من الرمال المقواة بفلنكات سكك حديدية مرتكزة على ناحية واحدة للاستفادة من خاصية المرونة ولتعمل كسوستة، أو مقواة بقضبان سكك حديدية بدلاً من الفلنكات وسمك هذه الطبقة ٣ أمتار.

(جـ) طبقة قاسية من قضبان السكك الحديدية المتعامدة «المتقاطعة والمربوطة» أو الملحومة مع بعضها البعض (٣-٤ رصات) بارتفاع حتى ٣٠-٤٠سم.

(د) طبقة قاسية من المكعبات الخرسانية المربوطة مع بعضها البعض بأسياخ حديدية (٦-٨ طبقات) بارتفاع حتى ٢ متر.

(هـ) ومن ذلك يتضح أن إجمالى سمك الطبقات المختلفة يصل إلى من ٤ إلى ٦ متر.

(و) ولقد تمت تكسية جدران الدشم المختلفة بعدة أساليب كالآتى:

١- التكسية بواسطة الدبش وذلك بعمل ستائر من سلك الأرانب حول أجناب الدشم ومرتفعة عن سطحها بحيث يسمح بترك فراغ يملأ بالدبش «قطع من الحجارة».

٢ـ التكسية بواسطة شكاير الرمل وذلك بتطهير أجناب الدشمة أو الملجأ وإزالة الردم ثم رص طبقات من شكاير الرمل المقواة بفلنكات السكك الحديدية ابتداءا من مستوى سطح قاع الدشمة حتى يصل إلى مستوى القضبان الحديدية ثم يتم رص مكعبات فطبقة من الشكاير حتى ارتفاع ١,٥ متر فوق سطح الدشمة.

٣ـ التكسية بواسطة حوائط الدبش المحصور داخل تقفيصات من السلك الشبكى المسبق صنعه مقاس ١×١×٣متر.

المدفعية المصرية وخط بارليف:

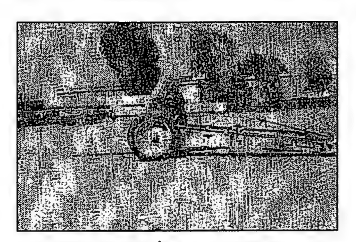
كان بناء خط بارليف إشارة لرجال المدفعية للبدء فى دراسة الطريقة التى يمكن بها التغلب على هذه الحصون، والبحث عن وسيلة جديدة قادرة على سحق هذه الدشم. وأجريت دراسة عملية اعتمدنا فيها على مايلى:

١- مراقبة مراحل بناء النقط الحصينة عن كثب استمرت ليلاً ونهاراً، وتم خلالها تصوير كل شىء بالتفصيل.

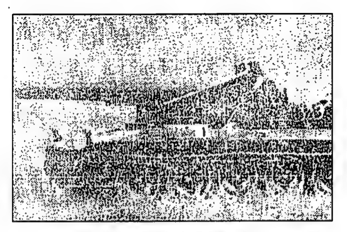
٢- عمل سجل تاريخى تفصيلى لكل نقطة حصينة يوضح مراحل البناء والتكوين والقوة وغير ذلك من المعلومات.

٣- عمل دراسة علمية عن قوة تحمل الدشم والملاجىء، وإجراء الحسابات العلمية اللازمة لذلك.

٤- معرفة نقط الضعف فى خط بارليف ونقط القوة فيه؛ لأن كل خط دفاعى لابد وأن تكون له نقط ضعف إذ يستحيل أن يكون قوياً فى كل مكان ولو حاولت ذلك لكنت ضعيفا فى كل مكان.



هاوتزر ثقيل مجرور له تأثير تدميري كبير



مدفع ثقيل محمل على شاسيه دبابة

الباب الثالث

التحول العظيم



التخطيط والإعداد

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾.

صدق الله العظيم

بعد أن نجحت القوات المسلحة المصرية من إعادة بناء نفسها وشن حرب استنزاف دامية ناجحة، أدارت رأس العدو الإسرائيلي وأفقدته اتزانه، بدأ الإعداد للتحول العظيم وأعنى بالتحول العظيم التحول من استراتيجية الدفاع إلى استراتيجية الهجوم.

تقدير الموقف:

قبل اتخاذ أي قرار عسكري تقوم القيادة بإجراء ما نسميه «تقدير الموقف» الذي يشمل عناصر كثيرة أهمها:

١- العدو.

٢- قواتنا.

٣-الأرض.

وفي اعتقادي أن من واجبنا تجاه شعبنا الحبيب أن نتحدث عن تقدير موقف قيادتنا بالنسبة لبند العدو باختصار وفي بساطة فكل مصري يرغب في أن يعرف عن العدو الإسرائيلي الذي حاربناه كل شيء. أما تقدير الموقف بالنسبة لبند قواتنا فلن أتحدث عنه إلا في حدود البيانات التي صرحت بنشرها الدولة حفاظاً على السرية وأمن الدولة. وسأتحدث عن بند الأرض بتفصيل محدود أصف فيه طبيعة المانع المائي وطبيعة أرض سيناء حتى تتضح للقارىء صورة ما واجهه الجندي المصري من عقبات تخطاها وتغلب عليها في إعجاز وباقتدار.

العدو:

يعتنق العدو الإسرائيلى نظرية الدفاع المتحرك الذى يعتمد أساساً على الاحتياطيات القوية الخفية الحركة لتوجيه هجمات وضربات مضادة قوية لتدمير القوات المعادية التى تنجح فى اختراق الخط الأمامى، ومع ذلك فلقد بنى العدو خط بارليف الذى يتكون من ٣١ نقطة حصينة على طول القناة صممت جميعها بنظام واحد (أنظر الباب السابق). وفى رأيى أن المهمة الرئيسية لهذه النقط تلخصت فيما يلى:

- وقاية الأفراد ضد التأثير النيرانى لمدفعيتنا وقواتنا الجوية مع قدرتها على الصمود ضد أى هجوم برى من أى اتجاه؛ لأنها مجهزة بدفاع دائرى يعتمد على سلسلة من نقط النيران الموجودة فوق الساتر تتصل ببعضها البعض ومع الملاجىء والدشم بسلسلة من خنادق المواصلات العميقة. كما زودت هذه الدشم ببعض المراغل (مقفولة بوسيلة ما يمكن فتحها فى الوقت المناسب) لإنتاج نيران مؤثرة للأجناب وفى الخلف وداخل صحن النقطة القوية.
- إعطاء إنذار ببدء العمليات من جانب القوات المصرية.
- إعطاء معلومات دقيقة فى الوقت المناسب عن عمليات اقتحام المانع وخاصة فى المراحل الأولى للهجوم.
- السيطرة على بعض المناطق الصالحة لعبور القناة والطرق الطولية المؤدية إلى عمق سيناء.
- إدارة نيران المدفعية وتوجيه الطيران.

ولقد قام العدو بإنشاء جدار (ساتر) ترابى على طول القناة بارتفاع وصل إلى ٢٠ متراً، وأنشأ عليه مرابض نيران لدباباته وعرباته المدرعة بفاصل من ١٠٠ إلى ٢٠٠ متر الأمر الذى حقق له كثافة تصل إلى ٨

مرابض فى كل كيلو متر على طول المواجهة بحيث يمكن لأى دبابة تحتل أى مربض الضرب على قواتنا فى المنطقة الابتدائية للهجوم وعلى الشاطىء الغربى للقناة وإنتاج نيران جانبية مؤثرة على القوات أثناء العبور. كما أنشأ عدداً آخر من السواتر الترابية على عمق يتراوح بين واحد وثلاثة كيلومترات من الشاطىء الشرقى للقناة بنظام خاص وذلك لاستخدامها كخطوط نيران لدباباته إذا لم تنجح فى احتلال الساتر الترابى الموجود على حد مياه القناة أو بواسطة دباباته التى ترتد تحت ضغط هجوم القوات المصرية. وبذلك يحقق أول عنصر من عناصر الدفاع المتحرك وهو تكبيد قواتنا القائمة بالهجوم أكبر خسائر ممكنة فى جيوب نيرانية قوية وخلق الظروف المناسبة لقيام احتياطياته بالهجمات أو الضربات المضادة.

ولقد روعى فى إنشاء هذه السواتر أن تمكن قواته من منع قواتنا من الانتشار وخلق جيوب من النيران للقضاء عليها فى المراحل الأولى من العبور خاصة وأنها ستكون فى هذه المراحل عبارة عن مشاة صرف مدعمة ببعض أسلحة المدفعية المضادة للدبابات الخفيفية المحدودة العدد.

ولتنفيذ فكرته الدفاعية احتفظ العدو بعدد من الاحتياطيات التى تمركزت على أعماق مختلفة للقيام بهجمات مضادة وضربات مضادة متتالية. فكان له احتياطى محلى تمركز على عمق من ٥ إلى ١٠ كم قوته تصل إلى سرية دبابات وسرية مشاة ميكانيكية، واحتياطى قريب على عمق من ١٥ إلى ٢٠ كم قوته حتى كتيبة مشاة ميكانيكية مدعمة بسريتين دبابات (٢٦ دبابة) ، ثم احتياطى تكتيكى تصل قوته إلى لواء مدرع (١١٠ دبابة) ولواء مشاة ميكانيكى (٣٤٣ عربة مدرعة) على عمق يصل إلى ٣٠ ـ ٤٠ كيلو متراً.

وبدراسة احتمالات أعمال العدو المنتظرة يمكن استنتاج ما يلى :-

١-إذا تمكن العدو من اكتشاف نوايانا للهجوم يحتمل أن يقوم بتوجيه ضربة جوية مركزة ضد قواتنا بهدف الحصول على السيطرة الجوية بتدمير جدار الصواريخ المصرية والقوات الجوية المصرية، بعد ذلك تكون لقواته الجوية حرية العمل ضد القوات البرية وخاصة المدفعية.

٢-بفرض إمكان صد الضربة الجوية أو تحمل نتائجها وتحول القوات المصرية للهجوم من المتوقع أن يدفع احتياطياته المحلية لتحتل الدبابات والعربات المدرعة مرابض النيران على الساتر الترابى لضرب قواتنا فى المناطق الابتدائية للهجوم على الشاطىء القريب وأثناء اقتحام قناة السويس.

٣-بفرض إمكان التغلب على ذلك سترتد هذه الدبابات إلى السواتر الترابية (خط النيران) المجهزة على مسافة من واحد إلى ثلاثة كيلومترات شرق القناة وتقوم منها بالتعامل مع قواتنا وتكبيدها أكبر خسائر ممكنة، وخلق الظروف المناسبة لتدميرها بالهجمات المضادة بالاحتياطيات الأكبر ومنع انتشار قواتنا للأجناب وفى العمق مستفيدة من عدم عبور دباباتنا وواحدات المدفعية المضادة للدبابات الثقيلة فى المراحل الأولى من الاستيلاء على رؤوس الكبارى (الشواطىء).

٤-بفرض إمكان العبور واستيلائنا على الساتر الترابى الموجود على الشاطىء الشرقى وتأخر دبابات العدو وعرباته المدرعة فى احتلال مرابضها على هذا الساتر قبل ساعة الصفر من المنتظر أن تقوم هذه الدبابات والعربات المدرعة باحتلال خطوط نيران فى العمق (١ - ٣كم) خلال ٣٠ ق من بدء الهجوم وتحاول تدمير قواتنا التى عبرت بنيرانها مستفيدة من عدم وجود دبابات مع وحداتنا.

٥- إذا فشلت هذه المحاولات فى تدمير قواتنا سيقوم العدو بدفع النسق الثانى التعبوى (الاحتياطى التالى) للقيام بهجمات مضادة ضد اتجاهات نجاح قواتنا بمهمة تدمير رؤوس الشواطىء الابتدائية أو منع قواتنا من الانتشار وتكبيدها أكبر خسائر ممكنة وخلق الظروف المناسبة لدفع احتياطياته التعبوية (قوة كل احتياطى حوالى ١١١ دبابة ولواء مشاة ميكانيكى) للقيام بهجمة مضادة قوية ضد كل رأس شاطىء مصرى لتدميره واستعادة الأوضاع على شاطىء القناة.

٦- إذا فشل هذا الهجوم المضاد سيوجه ضربات مضادة باحتياطياته التعبوية (بقوات أكبر) بغرض تدمير رؤوس الشواطىء واستعادة الأوضاع على شاطىء القناة.

استنتاجات:

من دراستنا لأعمال العدو المنتظرة وفكرته فى الدفاع عن القناة يتضح أن أحرج الأوقات والمواقف لقواتنا هى المدة التى ستبقى فيها مشاتنا بعد اقتحامها للقناة إلى أن تعبر الدبابات والاحتياطيات المضادة للدبابات، إذ ستتعرض فيها مشاتنا لهجمات مضادة ثلاث: بالاحتياطى المحلى، والاحتياطى القريب، والنسق الثانى التعبوى للعدو. وأخطر هذه الهجمات المضادة هى الهجوم المضاد بالنسق الثانى التبعوى الذى تصل قوته ضد رأس شاطىء كل فرقة مصرية إلى لواء مدرع (١١١ دبابة) ولواء مشاة ميكانيكى.

وهنا تلعب المدفعية المصرية دورها الحيوى الرئيسى إذ عليها أن تحمى المشاة من هذه الهجمات سواء بنيران الرمى الغير مباشر أو بالصواريخ الموجهة المضادة للدبابات الفردية التى تعبر مع مشاتنا فى المراحل الأولى اعتباراً من سعت الصفر فعلى المدفعية أن تتعامل مع هذه الاحتياطيات

أثناء تحركها على طرق الاقتراب وأثناء فتحها للهجوم ثم عليها أن تنتج ستائر من النيران لمنع هذه الهجمات من الوصول إلى قواتنا، وعلى الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات أن تدمر أى دبابات تنجح فى عبور ستائر النيران وتقترب من مشاتنا. وسنرى فيما بعد كيف نجحت المدفعية فى ذلك نجاحًا باهراً يجعلها بحق قوة النيران المتفوقة فى قواتنا المسلحة ويدعونا إلى تطويرها لأن العدو الإسرائيلى حتماً سيطور مدفعيته ليتمكن من إسكات المدفعية المصرية وبذلك يضرب قواتنا المسلحة فى أكثر أسلحتها تفوقًا عليه.

الأرض:

إن التسلسل الطبيعى لتقدير الموقف أن نتحدث عن قواتنا بعد العدو، ولكنى آثرت أن أتحدث عن بند الأرض لأدمج فيها المشاكل التى اعترضت قواتنا وكيف تغلبنا عليها، ولكى لا أتحدث عن قواتنا بما قد يمس السرية والصالح العام. وسأكتفى فى حديثى عن الأرض بمناقشة ثلاث نقاط رئيسية وهى:-

(أ) الحديث عن قناة السويس كمانع مائى قوى.

(ب) الحديث عن طبيعة الأرض فى سيناء والمشاكل الناجمة عن ذلك.

(جـ) تجهيز مسرح العمليات للمعركة الرئيسية قاصراً حديثى على ما يمس المدفعية.

قناة السويس:

عندما أتحدث عن قناة السويس كمانع مائى لا أعتبر ذلك إفشاء لأسرار لأن شركة قناة السويس والتى كانت فرنسية لديها وصف دقيق مستفيض لكل شىء. ولكن غالبية الشعب المصرى لا يعرف عنها إلا النذر اليسير. ولذلك رأيت أنه يجب أن أتحدث عنها.

إن أهم ما يميز قناة السويس كمانع مائى من وجهة النظر العسكرية ما يلى:

١- لها شواطىء شديدة الانحدار مكساة بستائر خرسانية أو من الصلب تمنع نزول وصعود المركبات البرمائية إلا بعد تجهيزات هندسية مسبقة تتطلب أعمالاً خاصة يلزمها وقت طويل، وهى صفة تنفرد بها إذا ما قورنت بأى مانع مائى فى العالم عدا قناة بنما.

٢- يتراوح عرض القناة بين ١٨٠، ٢٢٠ متراً كما أنها تعتبر من الموانع العميقة جداً إذ يصل عمقها إلى ١٨ متراً. كما أن سطح الماء ينخفض عن مستوى حافة الشاطىء بحوالى أربعة أمتار الأمر الذى يعوق رسو وسائل العبور المختلفة إلا بعد تكسير وتسوية حافة الشاطىء، كما أن هذا العمق يمنع عبورها خوضاً.

٣- يتغير مستوى مياه القناة ٤ مرات خلال اليوم الواحد (خاصة المد والجزر) بسبب البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جزر حوالى ٦٠ سنتيمتراً فى الجزء الشمالى منها ثم يتزايد كلما اتجهنا جنوباً إلى أن يبلغ مترين قرب مدينة السويس. وما من شك أن هذه الظاهرة لها تأثيرها على عبور القناة وهو ما روعى فى تخطيط اقتحامها من حيث التوقيت ومخطط العبور وإنشاء المعديات والكبارى.

٤- تتميز القناة بسرعة عالية ومتغيرة فهى تبدأ بحوالى ٠,٨ متر / ثانية وتصل إلى ١,٢ متر / ثانية، كما أن اتجاه التيار يتغير دورياً كل ست ساعات من الشمال إلى الجنوب وبالعكس وما من شك أن هذا التغيير سيؤثر على انتخاب أماكن الإبحار وأماكن الإبرار (النزل) فى عبور القناة.

٥- زاد العدو من قوة المانع المائي بأن أنشأ على ضفته الشرقية ساتراً ترابياً وصل ارتفاعه إلى ٢٥ متراً شكل منه مواقع لدباباته وقواته. وبذلك زاد عبء الأعمال الهندسية على القوات عند عبور القناة.

تأثير مسرح العمليات فى شبه جزيرة سيناء على الأعمال القتالية للمدفعية:

لقد عاش العدو الإسرائيلي في سيناء بعد حرب ١٩٦٧ مدة تصل إلى سبع سنوات درسها فيها دراسة وافية، كما أن التصوير الجوى العلمي الحديث جعل دراسة أى مسرح عمليات أمر سهل وبسيط. ولذلك فحديثنا هنا عن تأثير مسرح العمليات على الأعمال القتالية للمدفعية ليس فيه إفشاء لأسرار وإنما هى دراسة علمية بحتة أحاول فيها أن أسلط الأضواء على سيناء الحبيبة حتى يلم كل مصرى بها كجزء من وطنه ويكون على علم بأهميتها الاستراتيجية لمصرنا.

ينقسم الاتجاه الاستراتيجي الشمالى الشرقى (سيناء - إسرائيل) إلى اتجاهين تعبويين هما الاتجاه التعبوى الساحل والاتجاه التعبوى المركزى. ويمتد الأول بمواجهة من ٤٠ إلى ٩٥ كيلو متراً ويصل عمقه إلى ٤٥٠كم. ويخدم هذا الاتجاه محورين طوليين أساسيين وعدد من المحاور العرضية. والمحاور الطولية هى محور الطريق الساحلى الواصل بين القنطرة والعريش ومحور الطريق الأوسط الواصل من الإسماعيلية إلى العوجة. أما المحاور العريضة فكثيرة وأهمها طريق أسفلتى شرق القناة يسير موازياً لها ويقترب منها فى بعض أجزائه إلى بضع مئات من الأمتار ويبتعد عنها فى بعض أجزائه الأخرى إلى بضع كيلومترات، وكذا المحور العرضى الواصل من علامة الكيلومتر ٢٠ طريق الجدى حتى شرق الطاسة ثم إلى محطة بالوظة فى الشمال. وهذان هما المحوران العرضيان الموجودان بين القنال

والمضايق. وتوجد محاور أخرى عرضية فى العمق لا داعى للحديث عنها فى الوقت الحالى.

والمنطقة حول الطريق الشمالي بها كثير من المواقع الطبيعية (منطقة سهل الطينة، ومنطقة الكثبان والغرود الرملية الممتدة جنوب بحيرة البردويل) التى تعوق أو تحد تقدم القوات. فالمنطقة شرق محطة بالوظة متسعة نسبياً وتصلح لسير معظم أنواع الحملات ثم تبدأ الكثبان الرملية تحد من الحركة فى منطقة رمانة ثم تتسع مرة ثانية حتى بير العبد ثم تضيق مرة أخرى لتلاصق الطريق حتى مصفق وتصبح المناورة من مصفق وحتى العريش معدومة تقريباً. ولذلك فإن هذا المحور له خصائص مميزة تؤثر على تنظيم الدفاع عليه كما تؤثر على تنظيم الأعمال الهجومية على طوله. ولقد قمنا بدراسة تفصيلية لكل شبر فى هذا الاتجاه التعبوى الهام حددنا بناءاً عليها معالم الخطة الواجب اتباعها وحجم القوات التى يمكن أن تعمل فى هذا المحور ونوعية هذه القوات. وبالنسبة لطبيعة هذا المحور أمكن لنا تحديد مدى تأثير طبيعة الأرض واتساعها وهيئاتها الحاكمة على تشكيل قتال المدفعية وعلى أعمال استطلاع المدفعية وإدارة النيران.

أما المحور الأوسط (أو محور الطريق الأوسط الواصل من الإسماعيلية شرق حتى العوجة) فيتميز بما يلى:

(أ) المنطقة الممتدة شرق بحيرة التمساح وحتى الطاسة تسمح بأعمال المناورة عدا فى بعض المناطق التى تغطيها كثبان رملية مرتفعة مثل منطقة كثيب وأبو كثيرة، وكثيب الصناعات، وكثيب الصبحة وكثيب المخازن... الخ.

(ب) بعد الطاسة تبدأ الكثبان الرملية فى الاقتراب من الطريق فتحد من المناورة بل وتحدد اتجاهات عمل معينة.

(جـ) يمر الطريق فى منطقة أشبه بالمضيق فى المنطقة المحصورة بين جبل الختمية وجبل المغارة.

ويتميز المحور الأوسط بوجود بعض المناطق الحيوية عليه والتى بالسيطرة عليها يمكن الحد من تحرك القوات وتقدمها، كما أن الكثبان الرملية التى تكتنفه تجعل الأعمال القتالية ذات طابع خاص. ويعتبر هذا المحور حتى المضايق هو أنسب المحاور لعمل القوات المدرعة والميكانيكية وأن كان لطبيعة هذا المحور تأثير خاص على أعمال المدفعية بالذات ولكنها لا تؤثر على كفاءة تأثيرها فى المعركة.

ويأتى بعد ذلك المحور الجنوبى ويتميز بما يلى:

١- قرب خط المضايق من القناة ولهذا تأثيره على طبيعة الأعمال القتالية فى هذا المحور.

٢- أهم المضايق على هذا المحور هى ممر متلا ووادى الجدى ومن يسيطر عليها ينعم بحرية المناورة شرق أو غرب المضايق.

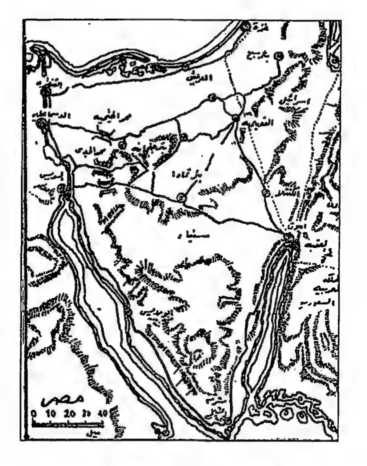
٣- تتميز أعمال المدفعية على هذا المحور بعدم إمكانية تقديم المعاونة النيرانية من محور فرعى إلى آخر نتيجة الأراضى الجبلية التى تمنع ذلك. لهذا يتسم توزيع الدعم وخطة استخدام المدفعية بطابع خاص مميز. كما أن نوعية المدفعية الواجب استخدامها فى هذا المحور تتطلب مواصفات خاصة.

الجبال والممرات التى تتحكم فى استراتيجية سيناء:-

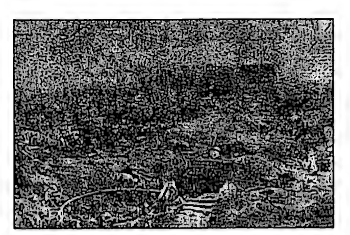
تعتبر الممرات الجبلية الثلاثة التالية هى مفتاح سيناء: ممر الختمية، وممر الجدى، وممر متلا. هذا بالإضافة إلى منطقة مصفق التى تتحكم فى المحور الساحلى.

خطة استخدام المدفعية:-

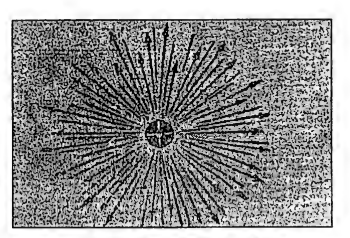
كانت هناك مجموعة من العوامل التى تحكمت فى وضع خطة استخدام المدفعية وتوزيعها على القطاعات المختلفة أهمها:-



شكل (٢٥) الجبال والممرات التى تتحكم فى استراتيجية سيناء



آثار ضرب المدفعية جعل النقطة الحصينة غير صالحة



هكذا تنتشر الشظايا عند انفجار دانة مدفع

١- ضرورة الحصول على السيادة النيرانية فى مسرح العمليات أو بتعبير أخر تحقيق التفوق على مدفعية العدو فى كل محور من محاور العمل لقواتنا المسلحة.

٢- ضرورة تركيز الجزء الأكبر من المدفعية فى اتجاهات المجهود الرئيسى للجيوش.

٣- تحقيق كثافات فى المدفعية بمختلف أنواعها وخاصة المدفعية المضادة للدبابات بما يحقق إمكانية معاونة القوات على تحقيق معدلات عالية لتقدم القوات وصد الهجمات والضربات المضادة للعدو.

٤- تحقيق الاتزان والثبات لرؤوس الكبارى.

٥- توفير احتياطيات قوية وكافية حتى يمكن مجابهة أى تطور للموقف خلال أيام القتال.

وطبقًا لهذه الأسس والعوامل تم وضع خطة استخدام تفصيلية للمدفعية ووزع الدعم على التشكيلات بالأعيرة المناسبة (توزيع نوعى) وبالحجم المناسب (توزيع كمى) لضمان إمكانية التعامل مع النقط الحصينة ومع مدفعية العدو بعيدة المدى وغير ذلك من المهام.

وتم وضع مخطط للتمهيد النيرانى روعى فيه الابتعاد عن الإسلوب النمطى نظرًا لاختلاف ظروف المعركة عن أى معركة سابقة، وكان ذلك بمثابة معادلة صعبة إذ كان علينا المفاضلة بين عاملين:-

١-أن تكون مدة التمهيد النيرانى قصيرة لحد ما لضمان صب أكبر قدر من الدانات فى أقصر وقت ممكن على دفاعات العدو لتحقيق المفاجأة وأعلى كثافة نيران ممكنة.

٢- أن تكون مدة التمهيد النيرانى طويلة نسبيًا بما يضمن تغطية قواتنا أثناء اقتحامها القناة ووصولها إلى الهيئات الحاكمة القريبة وعزل النقط

الحصينة، وتوفير الوقت الكافى للمدفعية لتدمير حصون خط بارليف.
ولتحديد لحظة بداية التمهيد النيرانى بالنسبة لتوقيت بدء اقتحام القناة أجريت عدة دراسات علمية وعميقة لكل العوامل المؤثرة وأهمهما :-

- أنسب الظروف الجوية لأعمال المدفعية من حيث العوامل التى تؤثر على سير المقذوف فى الجو واختيار الوقت المناسب الذى يتوفر فيه وقت كاف من النهار ليمكن للمدفعية تنفيذ مهام الرمى المباشر بكفاءة مع عدم إعطاء الفرصة للعدو لتوجيه ضربات جوية متكررة ضد مدفعيتنا لأن ضوء النهار يسهل له اكتشافها وإسكاتها.
- أنسب الليالى القمرية من حيث أوقات شروق وغروب القمر وشدة الإضاءة وتأثير ذلك على مدى الرؤية وعلى كفاءة أجهزة المراقبة والرؤية الليلية، وتأثير ذلك على أعمال المساحة للمدفعية وغير ذلك من المسائل. ولقد استغرقت دراسة هذا العامل عدة شهور تم فيها تكوين طاقم عمل من الضباط بدأ عملهم مع غروب الشمس وانتهى مع شروقها يرصدون كل شىء ويدونونه فى صمت وسرية وصبر ثم حللت كل البيانات وخرجنا بأحسن الاستنتاجات.
- زوال الشمس وتأثيرها على الرؤية، فالشمس فى الصباح تكون أشعتها فى عيون المهاجم من الغرب إلى الشرق وبعد الظهر تكون فى صالحه وضد المدافع.
- تمت دراسة استمرت حوالى سنة كاملة تم فيها أخذ متوسطات لسرعة الريح واتجاهاتها على الارتفاعات المختلفة (حتى ٤٠ كم) مع مقارنتها بالمتوسطات التى تنشرها مصلحة الأرصاد الجوية فى كتيب عن ٢٠ عاماً مضت، وعملت رسومات بيانية لكل عنصر من عناصر الأحوال الجوية ومدى تأثير ذلك على ضرب المدفعية ومنها اتضح أن أنسب الشهور منها شهر أكتوبر.

وهناك كثير من الدراسات الأخرى ومنها جميعًا تم اختيار يوم الهجوم وساعته وأن تكون مدة التمهيد النيرانى ٥٣ دقيقة تبدأ قبل اقتحام القوات الرئيسية للقناة بمدة ١٥ دقيقة وتستمر طوال تقدم القوات إلى أن تصل إلى أهداف محددة حيوية (أى إلى ما بعد بداية الاقتحام بمدة ٣٨ دقيقة).

وبذلك تم تحقيق ما يلى:-

(أ) فى المدة التى تسبق الاقتحام للقناة تنفذ قصفة نيران قوية على جميع الأهداف (نقط حصينة - احتياطيات - مراكز قيادة وسيطرة - بطاريات مدفعية) يتم فيها توقيع جزاء كافى على هذه الأهداف وبذلك يتم شلها تمامًا ومنعها من التدخل ضد قواتنا وخاصة المفارز التى دفعت مع بداية التمهيد النيرانى (سعت ١٤٠٥) بمهمة الاستيلاء على المواقع المجهزة على عمق من واحد إلى ثلاثة كيلو مترات شرق القناة لستر باقى القوات أثناء الاقتحام.

(ب) فى المدة من لحظة اقتحام القوات الرئيسية للقناة (أى من الساعة الثانية ظهرًا وعشرون دقيقة) تستمر المدفعية فى إسكات جميع الأهداف والقيام بتنفيذ مهمة تدمير المنشآت الدفاعية الحصينة والقيام بعمل ثغرات فى موانع العدو على الضفة الشرقية فى مواجهة النقط الحصينة، وكذا تدمير مواسير المواد الملتهبة التى أنشأها العدو لغمر سطح القناة باللهب، مع استمرار النيران على احتياطيات العدو لضمان عدم تدخلها فى العبور.

(جـ) ضمان وصول القوات التى ستقتحم النقط الحصينة بالمواجهة أو حتى ستلتف على أجنابها لتهاجمها من الأجناب ومن الخلف لتصل جميعها فى نفس الوقت الذى ترفع فيها المدفعية نيرانها من على هذه

النقط بعد أن تكون قد نفذت مهمة التدمير اللازم وفتح الثغرات فى الموانع.

(د) استمرار النيران على بطاريات مدفعية العدو لمنعها من إنتاج نيران مؤثرة على قواتنا.

(هـ) تحديد استهلاك الذخيرة المناسب للتمهيد النيرانى بما يحقق تنفيذ المهام المكلفة بها المدفعية بكفاءة تامة واختيار الأعيرة التى تناسب كل منشأة دفاعية للعدو بل وتحديد وضع جهاز تفجير الدانة بما يحقق للدانة أقوى تأثير تدميرى لها.

وبعد التمهيد النيرانى يأتى ما نسميه مساعدات المدفعية للهجوم وتعمل لها خطة تفصيلية تبنى على دراسة طبوغرافية الأرض ومواقع العدو وطرق اقترابه المحتملة وغير ذلك من العوامل التى تؤثر على الرمى. ولقد تم التخطيط بناء على المعلومات المتيسرة عن حجم العدو وتشكيل قتاله ونواياه فى جميع المراحل والتوقيتات بناءاً على دراسات مستفيضة قامت بها إدارة المخابرات والاستطلاع المصرية. وتم تنسيق ذلك مع معدل التدفق لقواتنا طبقًا لمخطط عبور القناة الذى قام سلاح المهندسين المصرى بوضعه بالاشتراك مع أفرع القيادة العامة المختصة ومنها إدارة المدفعية وقيادات المدفعية بالجيوش الميدانية.

واشتملت خطة استخدام المدفعية على التخطيط للتمسك برؤوس الشواطىء وصد الهجمات والضربات المضادة للعدو. ولقد روعى فى هذا التخطيط عدد الدبابات المعادية التى ينتظر أن تقابلها القوات خلال أيام القتال وعدد قطع المدفعية المضادة للدبابات والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات المتيسرة والكافية لصد وتدمير هذه الدبابات، وحساب إمكانيات المناورة بالوحدات وبنيران المدفعية.

إن خطة استخدام المدفعية المصرية وضعت بعناية فائقة واعتمدنا فى وضعها على العلم العسكرى المتطور، ولذلك نجحت المدفعية المصرية فى تحقيق أهدافها بكفاءة نادرة شهد بها العدو والصديق.

المفاجأة

إن تحقيق النصر فى المعركة يتوقف على عدد كبير من العوامل أهمها السلاح كماً ونوعاً، والقوات ومستوى تدريبها والروح المعنوية للأفراد ولكن لإحراز النصر على عدو قوى لا يعتبر ما ذكر كافياً بل يلزم أن تكون القادة والقيادات على درجة عالية من الكفاءة والدهاء، ولها القدرة على استخدام القوى والوسائل المتاحة بفاعلية وبما يحقق المفاجأة فى الموقف السائد.

إن المفاجأة كمبدأ من مبادىء الحرب معروفة منذ القدم. ولقد حاول القادة فى كل الحروب تحقيقها. والتاريخ حافل بانتصارات حققتها جيوش أقل قوة من جيوش أقوى بفضل المفاجأة وبالرغم من محاولة تأكيد مبدأ أن التاريخ لا يكرر نفسه قط إلا أن الواقع خلاف ذلك. قدورات التاريخ المفجعة منها والسعيدة تتكرر وإن اختلفت الصورة. فعلى الرغم من علم دول الحلفاء (انجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتى) بنوايا الألمان إزاء الاتحاد السوفيتى عام ١٩٤١ وعلى الرغم من المحاولات التى جاءت من كافة عواصم العالم تحذر الاتحاد السوفيتى إلا أن الجيش الأحمر لم يتخذ أى إجراء يدل على اليقظة والحذر.

وفى صباح الثانى والعشرين من يونيو اجتازت القوات الألمانية تهز بورج واجتازت الاتحاد السوفيتى.

وعلى الرغم من علم القيادة المصرية عام ١٩٦٧ باحتمالات الهجوم

الإسرائيلى لم تتخذ أى إجراء يدل على اليقظة، وفوجئت هذه القيادة بالضربة الجوية الإسرائيلية وتدمير القوات المصرية على الأرض واختراق القوات الإسرائيلية للحدود.

وفى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ فوجئت إسرائيل باقتحام خمس فرق مصرية لقناة السويس واجتياحها لخط بارليف الحصين، وذلك على الرغم من التحذيرات التى تلقتها القيادة الإسرائيلية العليا.

كيف تحقق ذلك؟ وكيف حدث أن إسرائيل التى كانت تعتبر نفسها قوة عسكرية متفوقة، وترى أنها أصبحت مضرب الأمثال لكل جيوش العالم، أصبحت تتخبط كالحيوان المطارد من أجل بقائها وحياتها إذ أصبحت مهددة بالدمار الكامل.

كيف تمكنت القيادة المصرية من تحقيق المفاجأة؟ وكيف لم يحدس الإسرائيليون؟ أما كيف لم يحدس الإسرائيليون فسألجأ إلى بعض الكتب التى صدرت بالخارج لنرى كيف يفكرون رغم ما قد يكون بها من تحيز.

فكتاب كيبور (عيد الغفران) يرجع ذلك إلى ثلاثة أخطاء هى:

(أ) الخطأ الذى ارتكبته إدارة المخابرات بالجيش الإسرائيلى والمسئولة عن تجميع المعلومات الخاصة بتحركات مصر وسوريا وتفسيرها.

(ب) والخطأ الذى وقع فيه مجلس الحرب الإسرائيلى الذى أخطأ فى تقدير الموقف، ووقع فى الشرك الذى نصبه له المصريون دون أن يقيم وزنًا للتحذيرات المتكررة القادمة من إدارة المخابرات الأجنبية.

(جـ) والخطأ الذى ارتكبته القيادة العليا لقوات الدفاع الإسرائيلية التى لم تطعن فى التقديرات التى قدمتها إدارات المخابرات ومجلس الحرب ولم تمض فى الاستعدادات الأولية لهجوم مضاد على الجبهتين.

أما كتاب «نظرة على حرب أكتوبر» الذى ألفه ستة مراسلون حربيون بريطانيون فيرجع ذلك إلى الآتى:

(أ) خلال السنوات الثلاث أو الأربع السابقة لحرب أكتوبر ركزت المخابرات الإسرائيلية على ضرب الفدائيين الفلسطينيين وخاصة لمقاومة نشاطهم بالخارج. ولكن الموارد البشرية الإسرائيلية كانت قاصرة. فلإيجاد الرجال اللازمين لهذا العمل كان على إسرائيل أن تسحب من مصر وسوريا عدداً كبيراً نسبياً من عملائها السياسيين الأمر الذى أدى إلى نقص مصادر معلوماتها. ومن هنا كان الخطأ الكبير فى جهود المخابرات الإسرائيلية وهو أنها علمت تماماً بإمكانيات المصريين ولكنها لم تعلم أو لم تحدس نياتهم.

(ب) أدت الملازمة للفلسطينيين إلى عدم الرؤية الإسرائيلية فلقد قصرت العقلية الإسرائيلية لما أصابها من غرور عن إدراك أن قوة العرب قد تؤدى إلى شن حرب شاملة، وقدرت أن إمكانياتهم لا تعدو شن حرب استنزاف فقط وأنهم لن يجرؤا على الدخول فى معركة مع جيش إسرائيل المتفوق. بل أن وزير الدفاع الإسرائيلي - موشى ديان - ورؤساء أركانه المتعاقبين قد عبروا مراراً عن اقتناعهم بأن العرب خفضوا من حرب الاستنزاف إلى الحد الأدنى نتيجة اقتناعهم بعدم قدرتهم على مواجهة إسرائيل بل أنهم لا يجرؤون علي ذلك.

(جـ) ويشرح إبراهام كانزير السبب الذى أدى إلى حدوث هذه المفاجأة بقوله:

«لقد كنا نعيش فيما بين عامى ١٩٦٧، ١٩٧٣ فى نشوة لم تكن الظروف تبررها، بل كنا نعيش فى عالم من الخيال لا صلة له بالواقع. وهذه الحالة النفسية هى المسئولة عن الأخطاء التى حدثت قبل حرب أكتوبر».

هذه هى بعض الآراء التى أعلنها محللون عسكريون غربيون

وإسرائيليون ولا يعنيني صدقهم أو خطأهم وإنما أردت أن ألقي بعض الضوء على ما أحدثته الانتصارات المصرية من ردود فعل في كل مكان، أما رأيي في الرد على التساؤل لماذا لم يحدس الإسرائيليون فألخصه في التخطيط المصري الجيد لتحقيق المفاجأة وفي الصلف الإسرائيلي والغرور بعد النصر السهل الذي تحقق لها في يونيو ١٩٦٧ فظن قادتها أنهم سوبرمان أو جيمس بوند.

المفاجأة وكيف تم التخطيط لها:

كانت المفاجأة من الأمور الرئيسية الهامة التي شغلت القيادات المصرية لفترة طويلة، لأن تحقيقها يؤمن للقوات المسلحة النجاح ويقلل من الخسائر أثناء اقتحام القناة.

وكانت القيادة المصرية تعلم تمام العلم أن إخفاء حشد قوات ضخمة في ظروف التطور الكبير لوسائل الاستطلاع الجوي أمر مستحيل خاصة وأن إسرائيل لديها طائرات استطلاع إلكتروني حديثة كما أن الأقمار الصناعية الأمريكية تمدها بكل المعلومات أولاً بأول. إلا أن ذلك لا يمنع من إمكان تحقيقها وكانت أهم الأشياء المطلوب العمل على تأمينها هي:

(أ) خداع العدو عن احتمال قيام مصر بالهجوم وتغذية اقتناع القادة الإسرائيليين بأن العرب غير قادرين على الحرب. ولقد نجحت القيادة الاستراتيجية والسياسة المصرية في هذا نجاحًا باهرًا. فلقد أمكنها إقناع إسرائيل بأن أي حركات عسكرية إنما هي لأهداف سياسية داخلية وخارجية وأسلوب من أساليب الضغط السياسي. حتى أن رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي قال في بيان صحفي يوم ١٩ أبريل ١٩٧٣ ما يلي: «لن يكون من المنطقي، من جانب المصريين، أن يبدأوا بفتح النار، لأن اندلاع الحرب سوف يعود بأخطار جسيمة عليهم». ويبدو أن موشي

ديان ورؤساء أركانه كانوا جميعًا واقعين تحت تأثير اقتناعهم بتفوقهم على العرب عسكريًا وعلميًا وتكنولوجيًا، وكان المصريين بالنسبة لهم لا يستطيعون شيئًا، بل اقتنعوا بأن المصريين عاجزين عن دخول أى حرب وأنهم إذا ما دخلوا الحرب فستتمكن إسرائيل من سحقهم بصورة لا تقوم لهم بعدها قائمة. ونتيجة ذلك رفض موشى ديان الاقتناع بالبديهيات التى كانت تفرضها المعلومات المتيسرة والموقف العام. فكل الدلائل وكل الأعمال التى تمت لفترة طويلة قبل الحرب كانت توحى بأن مصر مصممة على القتال وعلى خوض حرب تحرير مهما كان الثمن الذى ستدفعه ويكفى أن نستعرض خطب الرئيس السادات خلال عام ١٩٧٢ وعام ١٩٧٣ لأدركنا أنه اتخذ قرار الحرب وأن الإجراءات الفعلية لها قد اتخذت. وإليك بعض عناصر تحليل الموقف بواسطة إدارة المخابرات الأمريكية عن تحركات المسئولين العرب وعن تحركات الجيوش العربية توحى بأن الحرب فى الشرق الأوسط وشيكة الحدوث:

فى ٢٥ مارس ١٩٧٣ نشرت جريدة الأخبار القاهرية فى مقال افتتاحى:

«أننا سوف ندخل قريبًا فى معارك كبرى مع إسرائيل وعلينا أن نعد أنفسنا من أجل ذلك معنويًا وماديًا».

وفى ٢٨ مارس ١٩٧٣ خبر من جريدة الأنهار البيروتية يقول: «إن القوات تنقل ليلاً ونهارًا من القاهرة إلى قناة السويس، وقد أعلنت حالة الطوارىء فى الجيش المصرى الذى ينتظر قرارًا على أكبر جانب من الأهمية قد يصدر بين لحظة وأخرى.

٩ مايو ١٩٧٣- زيارة المشير أحمد إسماعيل إلى دمشق أثناء عودته من العراق.

١٩ مايو ١٩٧٣ - الرئيس السادات يزور دمشق لمدة ٧ ساعات.

٦ يونيو ١٩٧٣-وفد عسكرى سورى برئاسة اللواء طلاس يصل القاهرة.

١٢ يونيو ١٩٧٣-الرئيس السادات يطير إلى دمشق لمحادثات مع الرئيس الأسد.

٢٦ سبتمبر ١٩٧٣-وصول معلومات إلى إدارة المخابرات الإسرائيلية تفيد بانتشار القوات السورية على طول الحدود.

وهناك الكثير من الدلائل التى تؤكد احتمال نشوب الحرب إلا أن القادة الإسرائيليين المتعجرفين لم يقتنعوا. ولقد حاول المتحدثون العسكريون الإسرائيليون تعليل ذلك بقولهم: «أنهم رأوا ولكنهم لم يفهموا»، كما برروا فشلهم بأنهم تركوا مصر توجه الضربة الأولى مخالفين بذلك الاستراتيجية الإسرائيلية الحقيقة وهى الحرب الوقائية والتى تحتم توجيه الضربة الأولى أو ما يسمى ضربة الإحباط. وعلى ذلك فمن المؤكد أن القيادة الإسرائيلية ارتكبت خطأ كبيراً كلف قواتها المسلحة الكثير، ونجحت القيادة المصرية فى استغلال عقدة فرط الثقة فحققت المفاجأة على المستوى الاستراتيجى.

وفيما يلى ما قاله المشير أحمد إسماعيل بعد وقف القتال فى تصريح له عن الخداع الاستراتيجى: «لقد نشرنا فى صحيفة الأهرام خبراً يقول أنه قد سمح للضباط والجنود بتأدية فريضة الحج، كما أعلنا أن وزير الحربية الرومانى سوف يصل إلى القاهرة يوم ٨ أكتوبر».

(ب) اختيار أنسب توقيت للعملية الهجومية:

اهتمت القيادة العامة بدراسة أنسب توقيت للهجوم. ولقد استمرت هذه الدراسة لمدة طويلة لأن اختيار هذا التوقيت سيكون له أثر بالغ فى

تحقيق المفاجأة وبالتالى تحقيق النصر. وما من شك أن التوقيت يشتمل على ثلاثة عناصر: أنسب شهور السنة، وأنسب أيام الشهر، وأنسب ساعة «س» (أى لحظة بدء اقتحام القناة).

ولاختيار هذا التوقيت كان علينا أن نستفيد من العوامل السياسية والطبيعية وأن نعطى الفرصة للقوات المسلحة لتستكمل استعداداتها دون كشف لنية الهجوم. ولقد أدت بنا الدراسة المستفيضة العملية (١) إلى اختيار شهر أكتوبر كأنسب شهر للعملية والسادس من أكتوبر كأنسب يوم والساعة ١٤٢٠ كأنسب ساعة وذلك للأسباب الرئيسية التالية:

١ـ كان شهر أكتوبر أنسب شهر للعملية للآتى:

- يعتبر أكتوبر أنسب شهور السنة بالنسبة للأحوال الجوية والمائية المناسبة للعمليات البرية والبحرية والجوية.
- ليل أكتوبر طويل يصل إلى ١٢ ساعة.
- يأتى شهر رمضان المبارك خلال شهر أكتوبر، ولا يتوقع الإسرائيليون قيام مصر بأى عمليات خلال هذا الشهر ظناً منهم أنه شهر كسل وخمول وأن المسلمين لا يحبون الحرب فيه حتى لا يضيعوا متعة الصيام.
- يزدحم شهر أكتوبر بأعياد إسرائيلية ودينية منها عيد الغفران.
- ستكون إسرائيل مشغولة بعدد من الحوادث منها الاستعداد للانتخابات العامة.

٢ـ ولماذا السادس من أكتوبر؟

- يوافق السادس من أكتوبر العاشر من رمضان وهو تاريخ إسلامى حبيب وهو يوم معركة بدر الذى انتصر فيها المسلمون على الكفار ولهذا أطلقت على العملية الاسم الكودى «العملية بدر».

- يناسب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ عيد الغفران (كيبور) الإسرائيلى وفيه تتوقف الحياة فى إسرائيل فضلاً عن كونه يوم سبت وعطلة نهاية الأسبوع.
- بالنسبة لأيام الشهر العربى وحالة القمر وتوقيتات شروقه وغيابه ويعتبر العاشر من الشهر العربى أنسب توقيت للقمر ففيه يتميز ضوء القمر بالشدة المناسبة التى تساعد على الرؤية لمسافات معقولة، كما أن توقيتات الشروق والغروب مناسبة.
- يعتبر فرق منسوب مياه القناة فى هذا اليوم مناسباً لعملية العبور.

٣- أما بالنسبة لساعة «س» فلقد حظيت بجدل كبير واستغرقت الدراسة بالنسبة لها وقتًا طويلاً حتى أن تقريرها كان موضوع مناقشة بين المشير أحمد إسماعيل والقيادة السورية خلال آخر زيارة لسيادته لسوريا فى ٣ أكتوبر ١٩٧٣ ولقد أدت الدراسة إلى أنسب توقيت لساعة س ما بين الساعة الثانية ظهراً أو الثالثة ظهراً للأسباب التالية:

- أن يتوفر للقوات الجوية المصرية والسورية الوقت الكافى نهاراً لتنفيذ الضربة الجوية المركزة وأن تتاح لها فرصة تكرارها.
- أن تتوفر للمدفعية المصرية الفرصة لضبط نيرانها نهاراً وتنفيذ الرمى المباشر لتدمير النقط الحصينة لخط بارليف وأن تنفذ التمهيد النيرانى بكفاءة ليمكن مراقبة النتائج وتصحيح الضرب إذا لزم الأمر.
- أن تتمكن القوات السورية من اجتياز الخندق المضاد للدبابات الذى حفره العدو على طول المواجهة وأن تستولى على المرتفعات الهامة قبل آخر ضوء.
- لا تتوفر للعدو الإسرائيلى الفرصة الكافية نهاراً لتركيز قواته الجوية والرد على الضربة الجوية المصرية السورية. كما أن احتياطاته القوية

فى العمق ستحتاج لوقت طويل نسبيًا للوصول إلى الجبهة وتوجيه ضربات مضادة قوية والوقت المتبقى نهارًا لا يكفى لها لتنفيذ ذلك. وعليه فلن تتم الهجمات والضربات المضادة الرئيسية قبل أول ضوء اليوم التالى لتجد القوات المصرية وقد استعدت للقائها وتدميرها.

- أن يتوفر الوقت الكافى نهارًا لإسقاط معدات العبور الثقيلة.
- أن تكون أشعة الشمس فى وجه العدو أثناء عبور القوات وذلك بحيث يبدأ العبور بعد حلول الظلام مباشرة، فتقل كفاءة العدو فى المراقبة والتصويب.
- إمكانية فتح الممرات فى الساتر الترابى باستخدام مدافع المياه نهارًا لتحقيق السرعة فى العمل.
- إبرار قوات الإبرار الجوى والصاعقة قبل آخر ضوء مباشرة على طرق اقتراب احتياطيات العدو ولتعطيل تقدمها وبذلك تتوفر للقوات الوصول إلى خطوط صد مناسبة ومجهزة.

(جـ) سرية التخطيط والتحضير للعملية:

لتحقيق المفاجأة كان لزامًا المحافظة على السرية. ولقد تم اختيار أسلوب محدد فى التخطيط ونزول المعلومات إلى المستويات المختلفة فى توقيتات محددة مناسبة بما يضمن عدم تسرب المعلومات. كما تم اختيار الأفراد المشتركين فى التخطيط بعناية فائقة بما يضمن السرية ولقد روعى فى تلقين مهام العمليات لبعض المستويات على أنها مشروعات تكتيكية تدريبية. كما قامت أجهزة الأمن بوضع نظام خاص لتداول الوثائق على كافة المستويات يضمن عدم تسرب المعلومات أو احتمال حدوث أى أخطاء. وخلال التخطيط العسكرى الذى استمر لفترة طويلة كان الرئيس السادات يسير قدمًا فى تنفيذ استراتيجية مصرية ناجحة تهدف إلى تجميع

كلمة العرب، ووضع مخطط عربى مشترك. وكانت استراتيجية السادات ترمى إلى:

- خلق جو سياسى عالمى مؤيد للعرب وحقهم فى استرداد الأرض المغتصبة.
- تحقيق ميزة فتح ثلاث جبهات أو جبهتين على الأقل ضد إسرائيل.
- إعداد الدولة للحرب اقتصادياً ومعنوياً.

ولقد نجحت الاستراتيجية السياسية للرئيس السادات فى خلق خلفية مناسبة وجو مناسب لأى عمل عسكرى تقوم به مصر. فلقد نجحت مصر فى الحصول على تأييد الدول الأفريقية وأصبحت إسرائيل معزولة فى العالم النامى بشكل لم يحدث من قبل. وبدأ سيل المهاجرين إلى إسرائيل ينخفض بشكل ملحوظ وأصبح اعتماد إسرائيل فى الهجرة ينصب أساساً على المهاجرين من الاتحاد السوفيتى فقط. بل لقد لوحظ أن الدعم الاقتصادى لإسرائيل من اليهود الغربيين قد انخفضت معدلاته إلى حد كبير.

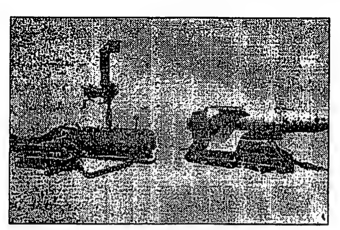
(د) استمرت أعمال التجهيز الهندسى لمسرح العمليات حتى لحظة بدء التمهيد النيرانى الساعة ١٤.٠٥. وكانت تعمل فى هذه التجهيزات العديد من الشركات القائمة ببناء قواعد مرتفعة للسيطرة بالنيران على الضفة الشرقية من الضفة الغربية. ولذلك خدعت القيادة الإسرائيلية وظنت أن التحركات العسكرية والحشود التى تمت فى منطقة القناة ما هى إلا مناورات الخريف.

(هـ) وفى النهاية يمكن القول بأن المفاجأة تؤمن أقصى نجاح ممكن بأقل استهلاك للقوى والوسائل والوقت. وعلى الرغم من التطور التكنولوجى العظيم الذى قد يوحى باستحالة تحقيق المفاجأة إلا أن مصر حققتها فى حرب أكتوبر بفضل التخطيط الجيد والإيمان بالله وبالوطن وبالنفس. وأن

تحقيق مصر للمفاجأة لم يكن من قبيل الصدفة لأن ذلك مستحيل علمياً. فتحقيق المفاجأة يتطلب عقلية نابهة وعلماً غزيراً وعملاً كبيراً وهو ما حققته القوات المسلحة المصرية فى حرب رمضان.

لتحقيق المفاجأة توجد أساليب عديدة لا يمكن أن توضع لها أنماط ثابتة. ولكن من أهم أساليب تحقيقها استخدام أسلحة جديدة أو استخدام سلاح متيسر معروف ولكن بكفاءة عالية لم يتوقعها العدو. ولقد كانت كفاءة المدفعية المصرية وقوتها مفاجأة للعدو، كما وأن نجاح رجل المدفعية فى استخدام الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات (المالوتكا) كان مذهلاً للعدو وجعل دباباته حطاماً.

وإليك منشور أذاعه قائد أحد الفرق المشاة المصرية على رجاله يحثهم على القتال ومتابعة النجاح ويمجد فيه أبطال حرب أكتوبر من رجال المدفعية - رجال الفهد - يقول فيه :-



بطل حرب أكتوبر - الصاروخ الموجه المضاد للدبابات الذى يحمله جندى المدفعية على ظهره



الباب الرابع
القتــــــال



اقتحام قناة السويس

فى الخامس من أكتوبر استدعى قائد الجيش الثانى اللواء / محمد سعد الدين مأمون القادة ليبلغهم عن سعت س وهى الساعة التى يبدأ عندها اقتحام القوات الرئيسية للقناة. أو بتعبير أدق هى لحظة ايجار الموجة الأولى من القوات الرئيسية من الشاطىء القريب للقناة. وكانت تعليماته تنص على أن يبدأ تبليغ قادة اللواءات بها فى الساعة التاسعة من صباح ٦ أكتوبر حيث يبدأ تسلسل وصول التوقيت الى القادة على التوالى فى سرية تامة إلى أن يبلغ الجنود الساعة ١٢٠٠ وليس قبل ذلك. وتم تنفيذ تعليمات القائد بكل دقة.

وعندما أشارت عقارب الساعة إلى الواحدة ظهراً (الساعة ١٣٠٠) كانت مراكز القيادة على مختلف المستويات قد اتخذت أماكنها فى سرية تامة، ولم يلحظ العدو الإسرائيلى أى تغيير فى أوضاع القوات، بل كانت هناك جماعات كسل من الجنود تجلس فى استرخاء على حافة القناة. يتناولون بعض المرطبات وقد تدلت أرجلهم فى مياه القناة وليس معهم حتى سلاحهم الشخصى أو خوذاتهم. هذا فى الوقت الذى كانت فيه مراكز ملاحظات المدفعية ترصد كل سكنة فى قطاع مسئولياتها. وتم فى الفترة من الساعة ١٣٠٠ وحتى الساعة ١٤٠٠ تأكيد أهداف المدفعية. وبدأت فى الساعة ١٤٠٠ تصل أولى البلاغات عن استعداد القوات وكان أول بلاغ هو بلاغ قائد مدفعية الجيش الثانى الى قائد الجيش الثانى النيل (اسم رمزى لمدفعية الجيش الثانى) حاضر لتنفيذ مأمون (الاسم الرمزى لأول قصفة فى التمهيد النيرانى). ووصل أمر قائد الجيش: «كل شيء فى ميعاده».

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية وأربع دقائق من بعد ظهر السادس من أكتوبر عندما مرقت فوق القناة الطائرات المصرية متجهة إلى أهدافها . وفى الثانية وخمس دقائق أصدر قائد المدفعية أمره : «النيل أضرب» فانطلقت آلاف المدافع تهدر وتصب حممها على النقط الحصينة لخط بارليف وأماكن تمركز احتياطيات العدو .

وبينما استمر أكثر من ألفى مدفع ميدان ومتوسط وثقيل وصواريخ وهاونات تصب حممها على خط بارليف ونقطه الحصينة وغير ذلك من الأهداف بدقة وكثافة وقوة لم يسبق لها مثيل راح عدد كبير من المدافع يطلق نيرانه بالرمى المباشر على مزاغل الدشم ونقط النيران المكتشفة ويفتح الثغرات فى مواقع الأسلاك الشائكة والألغام .

ومع بداية التمهيد النيرانى وتحت ستر هذه النيران الفعالة القاتلة اندفعت مفارز من القوات تعبر القناة لتستولى على مصاطب الدبابات الموجودة فى العمق القريب وتبث الألغام والشراك فى المصاطب الأخرى وتنصب الكمائن على طرق اقتراب احتياطيات العدو المحلية لتمنعها من التدخل فى اقتحام القناة بواسطة القوات الرئيسية التى ستتم بعد دقائق .

وكان التمهيد النيرانى للمدفعية المصرية من القوة لدرجة أن معظم بطاريات مدفعية العدو (أكثر من ٩٠٪ منها) أسكتت منذ اللحظات الأولى ولم تتمكن من إنتاج أى نيران مؤثرة على قواتنا ، فكان ذلك أول بادرة للنصر الذى حققه جيش مصر الباسل .

ويكفى للدلالة على قوة هذه النيران أن تعلم ما يأتى :

* كانت كثافة النيران ١٧٥ طلقة / ثانية .

* كان عدد الطلقات التى ضربت فى التمهيد النيرانى ١٠٠٠٠٠ طلقة .

*كان وزن الدانات التى أطلقت فى التمهيد النيرانى ٣ مليون كجم.
*كان عدد الطلقات التى أطلقت فى الدقيقة الأولى من المدفعية ١٠٥٠٠ طلقة.

إن كتاب نظرة على حرب الشرق الأوسط يصف مشاعر وبلاغات إحدى نقط مراقبة العدو خلال التمهيد النيرانى فيقول على لسان جندى إسرائيلى جاء به حظه العاثر إلى الجبهة المصرية:

«المصريون ينزلون قواربهم تحتنا مباشرة.. أنهم يعبرون الآن.. مملوءة بالكثير من الجنود .. ينزلون ومعهم مقذوفات موجهة مضادة للدبابات.. بعض الدبابات الفردية تهاجم المصريين .. قوات مدرعة تعبر.. كثير منهم يقفزون إلى الشاطىء ويتقدمون للأمام ومعهم الصواريخ المضادة للدبابات.. ست هليكوبترات بها كوماندوز مصريون تمر فوقى.. دبابة ت ٥٤ فى مواجهتى.. أنها تطلق النيران علينا.. قوارب كثيرة أخرى تعبر.. موجة خلف موجة.. أنهم ينتشرون فى منطقتنا يحاولون تطويقها.. أنهم يغرسون علماً.. المصريون ينصبون كوبرى.. العربات تسقط البراطيم.. قوافل ضخمة.. كثير من المدرعات .. دبابات، لوارى، مدفعية صاروخية، أرتال من عربات الجيب والمدافع.

إن المراقبين الأماميين يشتكون: لماذا لم تعمل القوات الجوية الإسرائيلية؟.

بطارية هاون تقوم بتقدير المسافة وأصبحت ساحة النقطة القوية مغطاة بالشظايا كوجه ملىء بآثار الجدرى. إن ضرب المدفعية على النقط القوية سيحولها إلى حطام.. لقد كان العدو فى ذهول.. ماذا حدث وماذا يجرى بعد مضى هذه الفترة الطويلة على إيقاف النيران.. هل جن المصريون ليعبروا القناة ليواجهوا جيش الدفاع الإسرائيلى الذى أقنعه قادته زيفاً بأنه جيش لا يقهر؟.

ولشدة ما كانت الفرحة تعلو وجوه كل جندى مصرى وهو يعبر القناة ويتسلق الساتر الترابى فى سرعة وسهولة كأنه شيطان أو مارد.

ويصف كتاب عيد الغفران مشاعر جندى إسرائيلى آخر أذهلته المفاجأة فيقول:

«كان موردخاى جالسًا فوق برج المراقبة فى هدوء فى مواجهة كوبرى الفردان عندما دوى انفجار يصم الآذان أخذ يزداد تضخمًا حمله على أن ينبطح على الأرض. كان تشكيل كبير من الطائرات النفاثة المصرية تطير على ارتفاع منخفض وتكاد تلمس الأرض الرملية.

ويندفع إلى يساره ولم تمض سوى بضع ثوان إلا وشهدت عيناه مياه قناة السويس قد غطيت فجأة بعشران القوارب وبداخلها رجال راحوا يجدفون بكل قوتهم ويعبرون بها المانع المائى من الغرب إلى الشرق. فغمغم قائلاً: غير معقول أن المصريين يعبرون القناة. وبضربة واحدة ترنح برج المراقبة الطويل وتمايل وظل معلقًا على ثلاثة من سيقانه وفقد موردخاى توازنه، وتعلق بكل ثقله فى السياج المعدنى الذى تولى منه حطام النظارة المكبرة التى كان يستخدمها. وفى رعبه أخذ يتطلع تحته ليرى عشرات الجنود المصريين وقد أصبحوا فوق الساتر الترابى وأخذوا يندفعون فى كل اتجاه.

ولم يفهم مردخاى السبب فى أن الفيلم الذى يدور حوله فيلم صامت إنه لم يدرك إلا فيما بعد عندما هبط من البرج. لقد أصبح أصمًا نتيجة قذيفة المدفع المضاد للدبابات التى انطلقت من الضفة الغربية فأصابت البرج.

معارك مصاطب الدبابات:

أنشأ العدو عدداً كبيراً من السواتر الترابية أطلقنا عليها مصاطب

الدبابات طول كل منها يتراوح بين ١٥٠، ٢٠٠ متر وبارتفاع وصل إلى عشرة أمتار وميل تدريجي وصل من ١ إلى ١٠، وذلك على أعماق مختلفة على جميع المحاور المحتمل أن تعمل عليها قواتنا. وكانت هذه المصاطب تعتبر خطًا دفاعيًا ثانيًا تستند عليه دباباته التي يدفعها من العمق لتركبها وتسيطر بنيرانها على الأرض المحيطة وبذلك يمكنها أن تغطي على أي قوات مصرية تنجح في التغلب على المانع المائي والساتر الترابي المنشأ على شاطئه.

وللسيطرة على هذه المصاطب وحرمان العدو من استخدامها دفعت مجموعات اقتناص دبابات مسلحة بالقواذف الصاروخية رب. ج. والمقذوفات الموجهة المضادة للدبابات التي يحملها جنود من المدفعية على الظهر وألغام مضادة للدبابات وقنابل مضادة للدبابات، وكانت مهمة هذه المجموعات اقتحام القناة مع بداية التمهيد النيراني والوصول إلى السواتر واحتلالها وصد أي هجمات مضادة لاحتياطيات العدو.

وبعد حوالي ١ - ١,٥ ساعة دفع العدو باحتياطياته المحلية لمقابلة الهجوم المصري وكان يعتقد أنه سينجح في تدمير الهجوم المصري ورده على أعقابه، وهنا حدثت المفاجأة فلقد واجهته مجموعات اقتناص الدبابات فدمرت معظم هذه الاحتياطيات وأن تمكنت بعض الدبابات الفردية من الاختراق والوصول إلى الشاطيء ولكن سرعان ما تمكنت قوات العبور الرئيسية من تدميرها وبذلك فشل الهجوم المضاد المحلي نتيجة معارك مجموعات اقتناص الدبابات كلها بطولة وفداء وتعاون.

«ما كادت كتيبة بارخ تتلقى الأمر بالتحرك للهجوم المضاد حتى انتفضت للتحرك. وكان أكثر الأشياء التي اهتم بها هي التزود بكميات كبيرة من الشطائر والملابس الداخلية وما يمكن أن يقرأ قطعًا للوقت فلقد

كان يشعر أنه منطلق فى جولة ونزهة.. إلا أن باروخ وزملاؤه سرعان ما تبينوا أن الأمر ليس كذلك. لقد انطلقوا بدباباتهم بكل سرعة وأصبحوا الآن تحت نيران المصريين.

إن المشكلة التى تعلموا مواجهتها هى المدفع المضاد للدبابات بعدها يلتفتوا إلى المشاة. ولكنهم شاهدوا كرات من النار تتراقص فى الهواء وتندفع نحوهم. وأدركوا فيما بعد أن هذه هى الصواريخ المضادة للدبابات.

(من كتاب كيبور)

«وعند محور الإسماعيلية كانت عدة وحدات إسرائيلية مدرعة مشتبكة فى قتال يائس مع القوات المصرية. وكان إسحق وهو شاب إسرائيلى غررت به أحلام إسرائيل ضمن تلك القوة وكان داخل دباباته مع قائد الفصيلة عندما تلقى اللواء الأمر بالهجوم المضاد. ويقول إسحق:

لم أكن أعرف على بعد كم كيلو متر من القناة كنا نسير عندما أصيبت دباباتنا وكان علينا أن نتصل مع أحد مواقعنا الحصينة فى خط بارليف. إلا أننى لم أستطع إطلاق أول طلقة من مدفعى فلقد أصيب برج الدبابة وأصيب قائد الفصيلة ولقد رأيته يلقى بنفسه خارج الدبابة. كانت ساق الضابط قد تحطمت تحت الركبة أخلينا الدبابة قبل أن تنفجر وابتعدنا عنها. وكان الليل من حولنا. وفجأة ظهرت إحدى دباباتنا وهى تجرى متراجعة إلى الوراء، وإذا بها تصاب بصاروخ مصرى وتنفجر. فقلت للملازم ها هى واحدة أخرى تتحطم. لقد هلكنا.

(من كتاب كيبور)

المدفعية المصرية تصد الضربات المضادة:

فى أقل من ست ساعات وعلى وجه التحديد حوالى الساعة ١٩٣٠

كانت القوات المصرية قد استولت على أكثر من نصف نقط العدو الحصينة وعزلت الباقى منها، وبدأت القوات فى تصفيتها واستعدت لتطوير الهجوم فى العمق. وكان الموقف على الجانب الآخر كما وصفه بنحاس سابير وزير المالية بعد ذلك مرعباً: «لم تكن هناك سوى خطوة واحدة باقية ثم تباد إسرائيل تماماً». وبدأ اليأس يدب فى نفوس القادة الإسرائيليين حتى أن ديان اقترح إخلاء جميع القطاعات الحصينة فى خط القناة وأن يوقفوا معارك الدبابات وأن يقيموا خطاً جديداً بالقرب من الممرات على مسافة ٣٠ كم شرق القناة.

وقبل أن يبزغ فجر اليوم التالى كانت القوات المصرية قد وصلت الى عمق ٥ - ٦ كيلو مترات وتم عبور أعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة. وخلال السابع من أكتوبر بدأت قواتنا فى تطوير هجومها شرقاً ووصلت إلى عمق من ٨ إلى ١٠ كم حيث بدأت تستعد لصد الهجمات المضادة للعدو الإسرائيلى المتوقعة. وكان للمدفعية المصرية فضل كبير فى تحطيم كل الهجمات المضادة التى تمت فى الثامن من أكتوبر ١٩٧٣ (اليوم الثالث للقتال).

وفى فجر الثامن من أكتوبر أبلغ أحد مراكز ملاحظة المدفعية الذى تم دفعه فى العمق ليلة ٦ - ٧ أكتوبر عن وجود لواء مشاة ميكانيكى للعدو مدعماً بعدد كبير من الدبابات متجمعاً على الطريق الأوسط وبعيد المليء. وبسرعة تم تقدير الموقف واتضح أنه فى مرمى حوالى ٢٠ كتيبة مدفعية. واقترح قائد مدفعية الجيش الثانى على اللواء محمد سعد الدين مأمون أن يتم ضرب حشد نيران هذا اللواء قبل أن ينتهى من إجراءات إعادة الملء، فصدق سيادته على ذلك. وتم تأكيد إحداثيات مكان للواء. وتم تنفيذ قصف نيران مدتها ١٠ دقائق بعشرين كتيبة مدفعية على هذا

اللواء. وكم كانت سعادة الجميع عندما وصل البلاغ من مجموعة مؤخرة كانت قد دفعتها قيادة الجيش الثانى فى العمق تؤكد أن النيران كانت مؤثرة وأن الحرائق تشتعل فى كل مكان وأن هذا اللواء تعرض لخسائر جسيمة جعلته غير قادر على دخول المعركة لفترة طويلة وأن الكثيرين منه قد فروا من الجحيم. وأكدت عناصر الاستطلاع اللاسلكى هذا البلاغ عندما التقطت استغاثات قائد اللواء وبلاغاته عن خسائره الجسيمة.

وفى قطاع الفرقة ١٨ مشاة قامت مدفعية الجيش الثانى بحشد نيران عشرة كتائب مدفعية على لواء مدرع حاول التقدم من بالوظة فى اتجاه القنيطرة لتوجيه ضربة مضادة ضد قوات الفرقة ١٨. وكان هذا الحشد اسمه (تل أبيب) اشتركت فيه مدفعية الفرقة ١٨ مشاة وجزء من مجموعات مدفعية الجيش الثانى وكانت نيران الحشد مؤثرة وناجحة ارتد على أثرها اللواء المعادى مذعوراً دون أن يوجه هجمته المضادة، وكان ذلك نجاح باهر لنيران المدفعية شهد به قائد الفرقة ١٨ مشاة وكل رجالها الأبطال. وكم كانت سعادتى عندما اتصل بى أحد قادة مدفعيات الألوية ليبلغنى أن قائد اللواء يثنى على رجال المدفعية الذين منعوا دبابات العدو من الوصول إلى الحد الأمامى لقواته، وأنه زاد اقتناعاً بأن نيران المدفعية تدمر ما يزيد عن ٣٠٪ من دبابات العدو، وهو المعدل العالمى المعروف.

أما رجال الفهد أبطال حرب أكتوبر فالحديث عنهم يحتاج لكتاب خاص. رجال ضربوا المثل فى البطولة والتضحية. ولقد سمعنا الكثير عن صائدى الدبابات، وكمثال فقط أنشر ما كتبته جريدة الأخبار المصرية عن عبد العاطى صائد الدبابات فى عددها الصادر يوم؟.

وفى التاسع من أكتوبر كان موقف القوات المسلحة على جبهة القناة سيئاً، فقلد نجحت القوات المصرية فى توسيع رؤوس الكبارى إلى عمق

كبير وصل إلى ١٥ كم، وفشلت الهجمات والضربات المضادة التى شنتها المدرعات الإسرائيلية بحشود كبيرة ووقع فى الأسر الكولونيل عساف ياجورى الذى قام بلوائه (اللواء ١٩٠ المدرع) بتوجيه ضربة مضادة فى اتجاه الفردان. ويتضح من حديث موشى ديان يوم ٩ أكتوبر (فى مؤتمر صحفى) أمام مجموعة من المحررين ورؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية الموقف الإسرائيلى على الجبهة المصرية. وإليكم مقتطفات من هذا الحديث:

«إن الشيء الوحيد الذى نتفوق فيه هو الطيران.. لقد أخليت كافة التحصينات على طول القناة، وتم ذلك بنظام فى بعض الأحيان وفى أحيان أخرى فى انتظام أقل. فلم يعد لها فائدة بالنسبة لنا. إننا لا نستطيع فى الوقت الراهن صد المصريين من الجانب الآخر. ولعل لهذه الحقيقة مدلولات كثيرة منها دلالتان واضحتان: أولاً لقد أدرك العالم كله الآن أننا لسنا بأكثر قوة من المصريين، وأن الهالة التى تتوجنا إذا هاجم العرب فإن الإسرائيليين سيحطمونهم - قد سقطت أما الدلالة الثانية فهى أنه إذا تعذر علينا دفع المصريين فإنهم سيواصلون حشد القوات، وإننى أخشى إذا ما تحولوا إلى الهجوم أن نضطر لأن نقف على خطوط أخرى. إننى لا أستطيع أن أضمن ما سوف يحدث، ومن المحتمل أن نفكر فى الانسحاب إلى خطوط أقل تبعثراً وأكثر أمناً وتضم عقبات طبوغرافية تمكننا من تنظيم خطة دفاعية أفضل. إننى أقصد بذلك خطًا يمتد من ممر متلا إلى قناة السويس يغلق الطريق نحو الجنوب من ناحية شرم الشيخ وذلك كى نتفادى فتح أبو رديس أمام الغزو المصرى.. إننا ندفع كل يوم الضريبة فى صورة معدات وقوات وطيارين وطائرات ودبابات. لقد دمرت المئات من مدرعاتنا فى المعركة .. لا أعرف كيف ستنتهى هذه الحرب.. أن ما يعنينا

هو مستقبل دولة إسرائيل. لنذهب إلى الشيطان البحيرات المرة أو ما سواها. أننا في حاجة للمدرعات والطائرات القادرة على حماية أمن بلادنا. ورغم كل شيء فإن القوات تتآكل وإنني آمل أن يرسل لنا الأمريكيون الطائرات. لقد وافقوا أن يزودونا بطائرات فانتوم جديدة وآمل أن يزودنا بالمدرعات كذلك».

ويتساءل ديزانتيشيك (معاريف) قائلاً: لقد استخلصت من خلال عرضك أنه منذ عصر بن جوريون كنا نصرح دائمًا بأننا قادرون على مواجهة الجيوش العربية مجتمعة إذا ما شنت هجوما علينا، ولكن هذا الرأى لم يعد صالحًا الآن.

ويسأل صحفى آخر: هل تستطيع يا سيدى الوزير أن تشرح لنا كيف أننا انتصرنا على السوريين رغم غياب المواقع الطبوغرافية بينما نواجه مع وجود مانع قوى مثل القناة مشكلات على الجبهة الجنوبية؟.

ديان: «فى الواقع كانت هناك أمور غير متوقعة. فلم نستطع أن نمنع بناء الجسور على القناة. وكان اعتقادى أنه إذا ما نجح المصريون فى بناء جسورهم ليلاً فإن فى وسع مدرعاتنا أن تدمرها. ولكنه اتضح أن معداتهم الجديدة - وبصفة خاصة صواريخهم فعالة جداً، فلقد دمرت لنا الكثير من المدرعات بهذا السلاح، إن محاولة الاقتراب من القناة وتدمير الجسور كانت أمراً بالغ الصعوبة وكلفنا الكثير. لقد سارت الأمور على خلاف ما كنا نتوقع».

وتأتى أقوال العقيد عساف ياجورى الذى وقع فى الأسر يوم ٦ أكتوبر بعد أن تم تدمير لوائه (اللواء ١٩٠ مدرع) بواسطة قوات الفرقة الثانية المشاة المصرية بالتعاون مع احتياطى المدفعية المضادة للدبابات للجيش الثانى الميدانى لتوضيح مدى نجاح المدفعية فى تكبيده خسائر جسيمة فى

قواته قبل دخوله المعركة. فقد جاء فى أقواله أن قواته تعرضت طوال تقدمها من بالوظة وحتى قيامه بالهجوم المضاد فى قطاع الفردان لقصف مؤثر من المدفعية المصرية أدى إلى تدمير أكثر من ٧٠٪ من مشاته الميكانيكية، وأنه تصور أن دقة النيران وتأثيرها الشديد لا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا كان هناك ضابط مدفعية مصرى يقف على برج دبابته (أى دبابة عساف ياجورى) يصحح نيرانها على قواته. إن عساف ياجورى لم يكن يتصور أن ضباطًا من المدفعية دفعوا فى العمق لهذا الغرض - لتصحيح النيران على احتياطيات العدو المتقدمة، فمن واجب المدفعية أن تسكت هذه الاحتياطيات وتدمرها على طرق اقترابها البعيدة وفى مناطق تجمعها وأثناء فتحها وأثناء هجومها، وهو ما حققته المدفعية المصرية.

عن مدفعية الفرقة ١٦ مشاة:

بعد أن أتمت قوات النسق الأول للجيش الثانى والثالث تنفيذ المهمة المباشرة بنجاح وبدأت فى تعزيز رؤوس الشواطىء المحددة لها طبقا للخطة بدأت تتعرض لهجمات مضادة متعددة لمدرعات العدو الإسرائيلى ركزها على أجناب رؤوس الكبارى محاولاً تطويقها والوصول إلى المعابر لتدميرها ومنع تدفق القوات المصرية إلى الشرق وعزلها عن أقسامها الثانية فى الغرب. وكانت الفرقة ١٦ مشاة أكثر الفرق تعرضاً للهجمات والضربات المضادة التى وجهها العدو بلواءات مدرعة الواحد تلو الآخر. ولكن قوات الفرقة من مشاة مدرعات ومدفعية وبفضل المعاونة الفعالة لمجموعات مدفعية الجيش الثانى واحتياطياته المضادة للدبابات تمكنت من صد وتدمير كل هذه الهجمات والضربات المضادة ويمكن لكل من يريد رؤية آثار الخسائر الجسيمة التى يتكبدها العدو الإسرائيلى فى مواجهة قطاع هذه الفرقة أن يذهب فى زيارة إلى رأس كبرى هذه الفرقة ليجد

عشرات بل مئات الدبابات المدمرة المحترقة والتى لم تنقل من محلاتها حتى الآن والكثير منها لم يبق إلا أجزاء أو أشلاء ممزقة لتشهد على بطولة الإنسان المصرى دفاعًا عن حقه وأرضه وأوطانه.

ولقد لعبت المدفعية فى معركة الفرقة ١٦ مشاة - تمامًا كما هو الحال على كل المواجهة - دوراً كبيراً فى نجاح صد هذه الهجمات والضربات المضادة. ويكفى أن نقول أن إدارة نيران المدفعية كانت على مستوى عال من الكفاءة الأمر الذى أمكن معه حشد نيران عدد كبير من كتائب المدفعية وصل فى بعض الحالات إلى ١٧ كتيبة على هجمة مضادة واحدة للواء مدرع إسرائيلى كان من نتيجتها أن دمرت لهذا اللواء حوالى ٣٢ دبابة وارتد اللواء مذعورًا دون أن ينفذ هجمته المضادة، وتلقفت الصواريخ المضادة الدبابات العدو الذى تابع تقدمه من الدبابات فدمرتها، وحدث أن نجحت أربع دبابات من هذا اللواء فى الوصول إلى تبة الطالية حيث دمرها رجال المشاة بالقواذف ر ب ج. لقد ظهر فى صد هذا الهجوم التعاون الوثيق الممتاز بين المدفعية والمشاة فكانت سيمفونية رائعة لم تشهد الحروب لها مثيلاً.

يصف أحد الجنود الإسرائيليين فيما بعد ما فعلته به وبوحدته المدفعية المصرية فيقول: «لقد تعرضنا لستار من نيران المدفعية لا يمكن وصفه، فلقد انصبت من كل جانب الصواريخ ونيران الدبابات وقذائف المدفعية الثقيلة. وقد تمكنا من شق طريق لنا، ولكن المعركة استمرت عدة ساعات إذ وقعنا مرة ثانية تحت ستار من نيران المدفعية وقد اخترق كل شيء حولى، وكان عدد من الرجال يصرخون وغيرهم يقفزون من دباباتهم». (كتاب كيبور) وفى مواقع كثيرة من كتاب حرب كيبور وكتاب نظرة على حرب الشرق الأوسط يصف المؤلفون بعض لمحات الهجمات المضادة الإسرائيلية فيقولون:

«إن المصريين قد نجحوا في كسر الهجوم الإسرائيلي المضاد ولقد أدركت القيادة الإسرائيلية أن الهجمات المضادة لا يمكن أن تعجل بتدمير وحدات التعزيز».

«للمرة الأولى أخذت الدبابات الإسرائيلية تحارب وهي تنسحب وللمرة الأولى كذلك تعطلت هذه الدبابات في أرض العدو وفي داخلها قتلى وجرحى دون أن يستطيع أحد تخليصهم منها لقد قتل أو أسر عدد كبير من أطقم الدبابات التي تم تدميرها».

من سجلات الحوادث:

بعض الأعمال القتالية خلال الفترة من ٦ أكتوبر حتى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣.

١- يوم ٦ أكتوبر.

• التمهيد النيراني

- بدأ التمهيد النيراني الساعة ١٤٠٥ على الأهداف المخططة بعد تعديلها طبقًا لنشاط العدو صباح اليوم. ولقد تأكد تدمير البطارية المعادية رقم ٢٩٢ وشوهدت حرائق وانفجارات في منطقة الهدف.

- أجرت مراكز الملاحظة انتقالاتها إلى منطقة رأس الكوبري شرق القناة باستخدام القوارب المطاط مع الموجات الأولى للعبور.

الساعة ١٦١٠ - تم تدمير بطارية معادية ملا الإحداثي (.....) رصدت بواسطة الصوت.

الساعة ١٦٢٠ - رصدت تجمعات دبابات في منطقة النقطة القوية في تل سلام وتم التعامل معها بكتيبتين من اللواء وتم تدمير ٤ دبابات.

من الساعة ٢٠٢٠ وحتى الساعة ٢٣٥٩.

- اشترك اللواء بكامل وحداته في إيقاف هجوم مضاد لكتيبة دبابات

على محور الطريق الأوسط جنوب كثب عيفان وتم إيقاف الهجوم، وإجمالى خسائر العدو ٢٦ دبابة.

- اشترك اللواء بعدد ٢ كتيبة فى إيقاف هجوم مضاد بحوالى كتيبة دبابات للعدو على يمين ويسار الفرقة ١٦ مشاة من منطقة شمال الطالية ومنطقة شمال شرق قرية الجلاء وتم إيقاف الدبابات.
- تم إسكات ٢ بطارية معادية.
- أضاءت المجموعة أرض المعركة لمدة ١٠ دقائق لاكتشاف تحرك لواء مدرع معادى.

٢- يوم ٧ أكتوبر:

- تم إسكات ٧ بطاريات معادية معظمها بعيد المدى.
- تم إسكات ٣ بطاريات معادية استعادت نشاطها.
- صد الهجمات المضادة لبقايا كتائب العدو المدرعة الساعة ١١٠٠، ١٤٢٥، ١٧٤٠.
- الساعة ١٥٢٠ تعرضت مرابض نيران إحدى الكتائب لقصف جوى باستخدام النابالم ولم تحدث خسائر.

٣- يوم ٨ أكتوبر:

- تم إسكات ١٣ بطارية معادية.
- صد الهجمات المضادة لدبابات العدو بواسطة لواء مدرع ضد رأس كوبرى الفرقة الثانية المشاة والفرقة ١٦ مشاة كالآتى:

* الساعة ٨٠٠ لواء مدرع معادى على للطريق الأوسط شرق أبو وقفة.
* الساعة ٨١٠ دبابات ومشاة ميكانيكية شمال الطريق الأوسط غرب كيثيب عيفان.
* الساعة ٩٥٠ إسكات ٢ سرية دبابات فى منطقة الشجرة أمام رأس كبرى الفرقة الثانية.

ـ تم عبور إحدى كتائب اللواء إلى رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة كما انتقلت سرية الصوت إلى منطقة الطالية.

٤- يوم ٩ أكتوبر:

ـ تم إسكات ٨ بطاريات معادية.

ـ صد الهجمات المضادة لدبابات العدو على رؤوس الكبارى وعددها ٧ هجمات مضادة أمكن تكبيد العدو فيها خسائر جسيمة فى الدبابات والعربات المدرعة.

٥- يوم ١٠ أكتوبر:

ـ إسكات ٦ بطاريات معادية حددت بواسطة الصوت اللاسلكى وبعضها تم إسكاته أكثر من مرة ولقد تأكد تدمير ثلاث بطاريات منها.

ـ صد خمسة هجمات مضادة لدبابات العدو ضد كل من رؤوس كبارى الفرقة ١٦ مشاة والفرقة الثانية المشاة.

٦- يوم ١١ أكتوبر:

ـ تم إسكات ٤ بطاريات معادية للعدو وتأكد تدمير واحدة منها.

ـ صد خمس هجمات مضادة للعدو (الساعة ١٢٠٠، ١٤٢٠، ١٤٣٠، ١٤٤٠، ١٧٢٥) ضد رؤوس الكبارى تم فيها تدمير عدد من الدبابات.

٧- يوم ١٢ أكتوبر:

ـ تم إسكات عدد ٧ بطاريات مدفعية للعدو جميعها بعيدة المدى.

ـ نفذت خطة ازعاج لمواقع مدفعية العدو المحتملة.

٨- يومى ١٣ أكتوبر، ١٤ أكتوبر:

بدأت مهمة التطوير شرقًا بدفع مفارز مدرعة فى اتجاه الطاسة وقامت

المجموعة (أى اللواء) بتأمين دفع هذه المفارز بتنفيذ ما يلى :

- تم تنفيذ جميع الخطوات المخطط لها ليلة ١٢ / ١٣ أكتوبر .
- فى الساعة ٠٥٤٥ يوم ١٤ أكتوبر بدأ تنفيذ قصفة النيران لتأمين الدفع .
- تم خلال القتال يوم ١٤ أكتوبر تسكات ١١ بطارية معادية .
- اشتركت المجموعة فى تأمين أعمال المفارز المدرعة بضرب تجمعات وحشود نيران وعمل ستائر دخان ناجحة ضد قوات العدو فى مواجهة الهجوم .
- اشتركت المجموعة فى ستر ارتداد المفارز المدرعة إلى رأس الكوبرى .

معركة الدبابات الكبرى

ركزت إسرائيل جهودها الرئيسية فى المرحلة الأولى من الحرب كأسبقية أولى ضد الجبهة الإسرائيلية للأسباب التالية :

(أ) أن استرداد السوريين لمرتفعات الجولان ينقل المعركة إلى قلب إسرائيل ويهدد الكثير من المستعمرات الإسرائيلية بالدمار .

(ب) لا يوجد مانع مائى يمكن الاعتماد عليه كما هو الحال على الجبهة المصرية كما أن إسرائيل كانت تعول كثيراً على حصانة خط بارليف وظنت أن اقتحامه أمر يستحيل حدوثه ، وأن القوات المصرية ستقف عاجزة أمام القناة وخط بارليف .

(ج) حتى بفرض نجاح القوات المسلحة المصرية فى اقتحام القناة فإن ذلك كما ظنت القيادة العليا الإسرائيلية - سيتطلب وقتاً طويلاً تكون القوات الإسرائيلية قد انتهت فيه من الجبهة السورية وتفرغت للجبهة المصرية .

(د) الاستفادة من كل عمق سيناء إذ أمام المصريين بعد القناة وخط بارليف أن يستولوا على المضايق وهو أمر يحتاج إعداد طويلاً، وعليه فقد تكون إسرائيل قد توقعت احتمال وجود وقفة تعبوية تقفها القوات المسلحة المصرية إلى أن تستعد لاقتحام المضايق.

(هـ) يمكن للقوات المسلحة الإسرائيلية أن تقوم بقتال تعطيلى قوى ضد القوات المصرية إلى أن تنتهى من الجبهة الشمالية بالجولان ثم تنقل نقلها إلى الجنوب لتنهى الحرب.

(و) أن جدار الدفاع الجوى المصرى لا يغطى سوى عمق بسيط نسبيًا شرق القناة، والإسرائيليون يعرفون ذلك، وعليه فقد يكون فى تقدير موقفهم أن القوات المسلحة المصرية ستتوقف لبضعة أيام حتى تنقل قواعد الصواريخ شرق القناة لتعطى الوقاية للقوات أثناء تطوير الهجوم شرقًا.

لقد جاء فى كتاب كيبور فى الفصل الحادى عشر تحت عنوان وثيقة بالغة السرية ما يلى على لسان موشى ديان:

«لدينا جبهتين: الجبهة المصرية والجبهة السورية أننا نريد تحييد الجبهة السورية، فهذا أمر له وجهة نظرى الأفضلية الأولى.

فمن جهة لأنها ملاصقة لبلادنا تمامًا. لقد نجحنا فى إيقاف الهجمات السورية فلو نجحت القوات السورية فى أن تتمركز على جبال الجولان فإنه سيكون فى ميسورها قصف سهل الحولة بأكملها داخل أراضينا أما مع المصريين فإن المشكلة مختلفة، أنها بطبيعة الحال مشكلة كبيرة ولكنها لن تعرض إسرائيل وشعبنا للهلاك فى المدى القريب».

وقد تكون هذه الأسباب أو غيرها هى التى دارت فى رؤوس القادة الإسرائيليين والتى حدت بهم إلى اتخاذ مثل هذا القرار.

وليس معنى تركيز إسرائيل لجهودها ضد الجبهة السورية إهمال الجبهة المصرية وإنما المقصود هو خلق توازن ضد القوات المصرية وخلق تفوق ضد القوات السورية وذلك من وجهة النظر الإسرائيلية. فالواقع أن حجم القوات الإسرائيلية التى واجهت القوات المسلحة المصرية منذ اللحظة الأولى يزيد كثيراً عن نصف القوات المسلحة الإسرائيلية. وكل ما قصدته هنا هو التنبيه بخطورة وجود جبهتين على إسرائيل وأن ذلك كان سببًا فى توزيع جهودها وكان عاملاً من عوامل النصر فى حرب أكتوبر. فناهيك لو كانت أكثر من جبهتين؟.

عندما قدرت القيادة المصرية الموقف واتضح لها نية القيادة الإسرائيلية وبغرض التخفيف عن الجبهة السورية قررت تطوير الهجوم شرقًا بدفع مفارز من القوات المدرعة والميكانيكية للسيطرة على المداخل الغربية للمضايق وتدمير القوات المدرعة الإسرائيلية فى معارك تصادمية ناجحة والاستيلاء على الطريق العرضى الذى يقع على عمق ٣٠ كم شرق القناة. وبذلك يتحتم على العدو أن ينسحب شرقيًا إلى خلف خط المضايق ويحاول أن ينظم دفاعاته بها ليمنع القوات المسلحة المصرية من اقتحامها، وعند ذاك يبدأ تنظيم معركة المضايق وفقًا للخطة الموضوعة.

وفى الحادى عشر من أكتوبر كان معدل الهجوم السورى قد بدأ ينخفض نتيجة شدة المقاومة من جانب العدو، وكان واضحًا أن أنسب توقيت للقيام بهذه العملية على الجبهة المصرية فى يوم ١٣ أو ١٤ أكتوبر. واتخذ القرار وبدأت عملية تطوير الهجوم شرقًا فى الساعة ٠٦٣٠ من صباح ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ فى أربع اتجاهات رئيسية:

- بقوة لواء مدرع فى اتجاه بالوظة رمانة.
- وبقوة فرقة مدرعة فى اتجاه الطاسة (على المحور الأوسط).

ـ وبقوة لواء ميكانيكى فى اتجاه وادى الجدى.

ـ وبقوة لواء مدرع مدعم بكتيبة مشاة ميكانيكية فى اتجاه ممر متلا.

وببداية تقدم هذه القوات نشبت معركة الدبابات الكبرى والتى لم يشهد الشرق الأوسط لها مثيلاً. ولم يأت هذا الهجوم من فترة هدوء قتالى لأن القتال كان مستمراً وعنيفاً منذ اليوم الأول. ولكن هذا الهجوم كان تطوراً كبيراً للمجهود المصرى فى حرب أكتوبر.

فلمدى يومين كنت ترى أرتالا الدبابات والعربات المدرعة والمدفعية وهى تتدفق عبر المعابر لتتخذ أوضاعها للهجوم وفى الوقت نفسه كانت إسرائيل تحاول أن تسابق الزمن بجذب مدرعاتها من الجبهة السورية لمواجهة الموقف الذى يوشك على الانهيار على الجبهة المصرية واستعانت إسرائيل بالترسانة الأمريكية التى سارعت إلى نجدتها فدفعت لها بكميات ضخمة من المدرعات وطائرات الفانتوم.

وبدأت تظهر على الجبهة المصرية دبابات لم تقطع سوى ٢٨٠ كم منذ خروجها من المصنع. وفى ظهر الثالث عشر من أكتوبر كانت المعلومات تفيد عن عبور لواءات مدرعة إسرائيلية للمضايق لمقابلة الهجوم المصرى. لقد ابتلع العدو الطعم ١ وبدأ يسحب احتياطياته وقواته من أمام الجبهة السورية. وكان ذلك دلالة على نجاح الخطط المصرى.

لم يعلن أى من الطرفين عن حجم قواته بدقة وأن كانت بعض المصادر الأجنبية تقول أن عدد الدبابات التى اشتركت فى هذه المعركة يفوق ما اشترك فى موقعة العالمين. ففى موقعة العالمين كان إجمالى عدد الدبابات للجانبين حوالى ١٦٠٠ دبابة، أما فى موقعة الدبابات الكبرى فى حرب أكتوبر على الجبهة المصرية فلقد زاد العدد على ٢٠٠٠ دبابة.

وفى صباح ١٤ أكتوبر بدأ الهجوم المصرى الجديد بقصفه نيران قوية

من أكثر من ٥٠٠ قطعة مدفعية لتأمين دفع هذه المفارز المدرعة. وتحت ستر نيران المدفعية المؤثرة تقدمت الدبابات المصرية. لقد بدأت معركة كبرى للدبابات.

ولما كانت الدبابات هى نتاج تطور الفرسان فإن حرب المدرعات يمكن تشبيهها بهجوم لواء الخيالة المشهور ممزوجاً بصدمة معركة الأسطول القديمة أو بتعبير آخر أمواج من الدبابات تزحف عبر الصحراء فى هجوم كاسح رهيب. ولكن الحقيقة عادة ما تكون أقل من الخيال. ففى ظروف المعركة تتدحرج الدبابة فوق سطح الأرض ببطء نسبى وليس بكل سرعتها، ونادراً ما تطلق نيرانها أثناء الحركة، وإنما تفتح نيرانها من وقفات قصيرة. وعليه يمكن تشبيه قتال الدبابات بمباراة حامية للشطرنج يحاول كل طرف فيها أن يناور ويحاور ويداور ليحصل على ميزة تمكنه من توجيه ضربات قوية مفاجئة لخصمه لا يمكنه الرد عليها.

وعلى رجل المدرعات أن يستغل الإمكانيات الميكانيكية والقتالية لدبابته إلى أقصى حد. ولذلك تبنى الدبابة بالشكل الذى يعطيها القوة والسرعة معاً. ويكفى أن تتصور معى دبابة قادرة على حمل وتحريك وزن كبير من الدروع (٣٠ - ٥٠ طن من الصلب) ولها قدرة عالية على المناورة وخفة الحركة. أن ذلك ليس بالأمر السهل البسيط كما يجب أن يكون للدبابة مدفع قوى وأن تكون الدبابة قادرة على تحمل الصدمة الناتجة منه عند الضرب والتى تصل إلى ما يعادل وزنها تقريباً. هذا بالإضافة إلى الكثير من الأشياء الأخرى الهامة مثل خزانات الوقود وأجهزة التهوية... إلخ.

ولقد عبر أحد العسكريين الغربيين عن الدبابة قائلاً: «لا يمكن للدبابة أن تحمل من الدروع ما يمكنها من أن تكون آمنة دائماً».

فطلقة المدفع المضاد للدبابات التى تطلق على مسافة معقولة يمكنها أن تخترق ضعف قطرها على الأقل. فإذا كان مدفع الدبابة م - ٦٠ الإسرائيلية عياره ١٠٥ مم فإن فى قدرته إذا ما أطلق على مسافة ١٥٠٠ متر أن يخترق درعًا سمكه ٢١٠مم. وبالمثل أى مدفع عيار ١٠٠ مم يطلق نيرانه على دبابة على مسافة ١٥٠٠ متر ففى مقدوره اختراق درع سمكه أكثر من ٢٠٠ مم. وعليه فأحسن وقاية للدبابة هو اختفاؤها واستخدامها لطبيعة الأرض. فثنية أرضية صغيرة يمكنها إخفاء جزء كبير من الدبابة وقد يكون ذلك سببًا فى نجاحها فى تدمير دبابة معادية ونجاتها هى من التدمير.

وعلى ذلك فمهارة قائد الدبابة وسائقها على درجة عالية من الأهمية، أو بتعبير آخر أن التكتيكات الصغرى فى معارك الدبابات تعتبر حيوية للغاية. فقائد فصيلة أو سرية أو سرب دبابات الكفء هو الذى يمكنه أن يستغل مهارة رجاله فى التكتيكات الصغرى ويستفيد من الأرض الميتة وطرق الاقتراب المستورة ليصل إلى المكان المناسب لمهاجمة العدو دون كشف لتحركاته. فى هذه الحالة يمكنه أن يدمر للعدو أضعاف أضعاف عدد الدبابات التى يقودها. بل أن سرية واحدة يمكنها تدمير كتيبة دبابات.

هذا إلى جانب أن المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات - أحدث تطورًا حدث للمدفعية المضادة للدبابات - تتميز بما يجعلها خطرًا داهمًا على الدبابة فهى ذات مدى أكبر من مدى سلاح الدبابة (يصل إلى ضعف مرمى مدفع الدبابة)، ولها درجة دقة أعلى من الإصابة فهى قادرة على الحصول على إصابة مباشرة من الطلقة الأولى، كما أنها أكثر قدرة على أن تختفى من رؤية الدبابة وبذلك تتوفر لها الفرصة لتطلق الطلقة الأولى. وعليه

ففي معارك الدبابات تلعب المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات دوراً حيوياً لأن تعاونها مع الدبابات يجعل لها الغلبة والتفوق. ولهذا تحاول معظم جيوش العالم أن تدخلها ضمن التركيب التنظيمي للقوات المدرعة.

لقد كانت حرب أكتوبر أول اختبار فعلي لهذا السلاح القاتل للدبابة ولهذا تتهافت الدول على مصر لتعرف خبرتها في استخدام هذا السلاح. وتتركز التساؤلات حول:

كيف استخدم؟ وأي أنواعه أكثر فعالية؟ وكيف تعاون مع الدبابات؟ وما هي معدلات الخسائر الناجمة عن استخدامه وكيف أمكن تدريب عمال التوجيه؟ وكيف يمكن مقاومة هذا السلاح الجديد؟ وما هو دور مدفعية الميدان في ذلك؟.

وبدأ تقدم القوات المدرعة المصرية على المحاور المختلفة يحرز تقدما رغم المقاومة العنيفة التي قابلته. وبعد أن تأكد الهدف من التطوير، وهو تخفيف العبء عن الجبهة السورية، وابتلع العدو الإسرائيلي الطعم وسحب الكثير من القوات على الجبهة السورية وتوجيهها إلى الجبهة المصرية، قررت القيادة المصرية توجيه القوات إلى داخل رؤوس الكباري مرة أخرى. وتم لها واستطاعت العودة إلى داخل رؤوس الكباري دون أن تتكبد أي خسائر.

وكان للمدفعية المصرية فضل كبير في ستر سحب هذه القوات المدرعة بأن قامت بإسكات بطاريات مدفعية العدو ومنع مدرعاته من الضغط على قواتنا لأن من أخطر اللحظات عودة قوات لتنضم إلى قاعدتها إذ قد يستغل العدو ذلك فيضغط عليها ويوجه هجمات وضربات مضادة ناجحة.

لقد بدأت معركة الدبابات الكبرى اعتباراً من اليوم الثامن من أكتوبر

واستمرت الى أن صدر قرار وقف إطلاق النار الذى استغله العدو فى توسيع الثغرة.

معركة الثغرة

كثر الحديث عن الثغرة وشدت انتباه الجميع سواء لأنها كانت الشيء الوحيد الشاذ فى عملية العبور المصرى العظيم. وكان كل مصرى يود لو لم تحدث هذه الثغرة إذ كانت فى نظره كنقطة حبر صغيرة سقطت سهوا على صفحة بيضاء ناصعة من الانتصار وأخذت الدعاية الإسرائيلية والاستعمارية تحاول - دون جدوى - أن تنفخ فى هذه الثغرة لتكسب بها شيئا، ولكن الحقائق دمغتها وأكدت الانتصار المصرى العظيم. وسأحاول هنا أن ألقى ضوءاً من الحقيقة على معركة الثغرة ليعرف كل مواطن عربى مدى ما حققته القوات المسلحة المصرية من انتصار عبر عنه توفيق الحكيم «بعبور الهزيمة».

فى حديث صحفى لموشى ديان: «فى الواقع كانت هناك أمور غير متوقعة». فلم نستطع بناء الجسور على القناة. وكان اعتقادى أنه إذا ما نجح المصريون فى بناء جسورهم ليلاً فإن فى وسع دباباتنا أن تدمرها. ولكنه اتضح أن معداتهم الجديدة، وبصفة خاصة صواريخهم المضادة لدبابات التى يبلغ مداها ثلاث كيلو مترات - كانت فعالة جداً وقد دمر لنا الكثير من المدرعات بهذا السلاح أن محاولة الاقتراب من القناة وتدمير الجسور كانت أمر بالغ الصعوبة وكلفتنا الكثير لقد سارت الأمور على خلاف ما كنا نتوقع».

ومن هذا الحديث يتضح أن موقف اسرائيل كان بالغ الحرج وعندما قررت مصر دفع قواتها المدرعة لتطوير الهجوم شرقًا لتخفيف العبء عن

سوريا بدأ الإسرائيليون يفكرون فى عمل مغامرة تليفزيونية برعوا فيها دائماً خاصة وأنهم علموا أن العالم سيتدخل لوقف إطلاق النار. ومن هنا كانت عملية الغزالة.

ولقد كانت الأوضاع بالجبهة المصرية كما يلى:

١ـ تمكنت القوات المصرية من اقتحام قناة السويس وخط بارليف الحصين خلال ساعات قليلة وتقدمت شرقاً إلى عمق حتى ١٨ ـ ٢٠ كم.

٢ـ دفعت القيادة المصرية بمفارذ مدرسة للتطوير شرقاً للضغط على القوات الإسرائيلية وإجبارها على سحب أكبر جزء من القوات الموجودة فى مواجهة القوات السورية للتخفيف عن الجبهة السورية، وبذلك قلت القوات والاحتياطيات الموجودة فى غرب القناة.

٣ـ كان الرأى السائد فى الأوساط العسكرية العالمية يقول بأنه يتحتم عى إسرائيل أن تدخل فى معارك بالدبابات لمنع القوات المصرية من الانطلاق تجاه المضايق الحاكمة فى سيناء باعتبارها مفتاح الطريق من وإلى القناة وفلسطين.

٤ـ بدأت طائرات الاستطلاع الأمريكية تتجسس على الجبهة المصرية علها تجد نقطة تصلح للوثوب أو لعمل ما يحفظ لأمريكا ماء وجهها بعد أن تغلب السلاح السوفيتى فى أيدى الرجال المصريين على السلاح الأمريكى فى أيدى الإسرائيليين ويبدو أنهم وجدوا فى نقطة الاتصال بين الجيش الثانى والثالث المصريين ضالتهم خاصة بعد أن عبرت القوات المدرعة التى تمثل الأنساق الثانية لهذين الجيشين شرقا ولازالت مشتبكة فى قتال عنيف فى معركة الدبابات الكبرى.

٥ـ كان الجسر الجوى الأمريكى الجبار ينقل مئات الدبابات الحديثة من طراز م ـ ٦٠ إلى العريش حيث يتم تطقيمها وإنطلاقها إلى الجبهة.

٦- بدأت إسرائيل تستعرض خسائرها من القوات الجوية إذ وصلت إليها طائرات فانتوم بطياريها كما أمدتها جنوب أفريقيا بعدد لا بأس به من طائرات الميراج.

ومن هنا كانت الضربة الإسرائيلية فى هذا الاتجاه مغرية إلى أكبر حد للأسباب الآتية:

(أ) أن نجاح مثل هذه الضربة وعبور القوات الإسرائيلية غربًا مع ما فيه من مخاطر ومع اقتراب موعد وقف إطلاق النار قد يظهر إسرائيل بمظهر من لم يفقد المعركة، وأن تكون فى وضع يمكنها من المساومة إذا ما أمكنها تثبيت أقدامها فى الثغرة.

(ب) أن ذلك معنويًا سوف يحدث آثاراً كبيرة قد ترفع من معنويات الشعب فى إسرائيل وقد تمت فى معنويات الشعب العربى.

(ج) أن ذلك قد يتيح لها فرصة تدمير جزء من قواعد الصواريخ المتاخمة للقناة وبذلك تتوفر لقواتها الجوية بعض الحركة.

فكرة العملية الإسرائيلية:

من المعروف استراتيجيًا وتعبويًا أن أضعف نقط فى أى دفاع هى نقط الاتصال بين القوات. ولذلك يهتم القادة عادة بتأمينها بالقوات وبالنيران وبالمناورة وبالاحتياطيات وما من شك أن القيادة المصرية اهتمت اهتمامًا بالغًا بنقطة الاتصال بين الجيش الثانى والثالث وخططت لتأمينها ضد جميع الاحتمالات، هذا ويمكن لأى رجل عسكرى عادى أن يدرك بسهولة أن البحيرات المرة العظمى - والتى تمثل مانعًا طبيعيًا ضد أى عمليات عبور بقوات كبيرة - تعتبر أيضًا عنصر تأمين لجانب أى قوات تتقدم شمالاً بحذائها مرتكزة بجانبها الأيسر على هذه البحيرات، كما أن منطقة الدفرزوار تتميز بما يلى:

١- بها أشجار كبيرة تساعد على الإخفاء.
٢- منطقة مزروعة تصعب فيها الهجمات المضادة.
٣- خلفها منطقة صحراوية تصلح لعمل الدبابات بحرية وكفاءة.
٤- ترتكز فى البحيرات المرة العظمى وبذلك يتحقق لها تأمين من أحد أجنابها كما أن البحيرات يمكن استخدامها فى أعمال الأبرار البحرى والإمداد.

وعليه يبدو أن المستشارين الأمريكيين أشاروا على إسرائيل باختيار هذه المنطقة لعمل مغامرتهم التليفزيونية بعد أن تأكدت طائرات الاستطلاع الأمريكية من وجود احتمالات نجاح المغامرة جزئيًا، كما أن العالم بدأ يتحرك بسرعة لإيقاف القتال فى الشرق الأوسط خوفًا من تطور الأمور إلى مواجهة بين العملاقين وهو أمر محظور على الصعيد الدولى.

ولكى تنجح المغامرة كان على القوات الإسرائيلية أن تفعل ما يلى:
١- تشن هجمات مضادة بكل ما لديها من إمكانيات ضد الجانب الأيمن للجيش الثانى بمهمة زحزحة الجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة شمالاً لبضع كيلو مترات لتأمين منطقة العبور المختارة فى الدفرزوار.
٢- توجيه هجمات مضادة أخرى فى قطاعات أخرى لتثبيت القوات المصرية وجذب انتباهها بعيداً عن منطقة الثغرة.
٣- القيام بعملية إبرار بحرى فى بورسعيد لجذب انتباه القيادة المصرية إلى بورسعيد بعيداً عن البحيرات وعليه يمكن تصوير فكرة عملية الغزالة فيما يلى:

بقوة حتى ٣ لواءات مدرعة ولواء مشاة ميكانيكى توجيه هجمة أو ضربة مضادة ذات شعبتين على الجانب الأيمن للجيش الثانى (ضد قوات الفرقة ١٦ مشاة) بهدف زحزحة الحد الأمامى إلى ما خلف تقاطع الطرق

شرق الدفرزوار ثم الاستيلاء على النقطتين القويتين بالدفرزوار يتم دفع قوة من المظليين أو المشاة تعبر بالقوارب عبر القناة والبحيرات المرة لتستولى على رأس كوبرى صغير فى منطقة الدفرزوار يتم تدعيمه فوراً ببعض الدبابات البرمائية وإبرار جوى بالهليكوبترات، ثم يتم دفع عناصر من المهندسين العسكرين لإنشاء معبر ثقيل فى منطقة الدفرزوار ليمكن دفع لواء مدرع يتسلل بحذاء البحيرات ثم يعبر إلى منطقة الدفرزوار بسرعة وينشر على شكل مفارز من سرايا مدرعة مدعمة بالمشاة الميكانيكية تقوم بالهجوم على بعض قواعد الدفاع الجوى المصرية القريبة لتدميرها وخلق حربة عمل للقوات الجوية الإسرائيلية. وبمجرد صدور قرار وقف إطلاق النار وقبول مصر له تسللت هذه القوات لتوسع رأس الكوبرى مع دفع قوات جديدة لتدعيمه.

كيف نفذ العدو الإسرائيلى خطته؟ إن الوثائق الدقيقة لمثل هذه العمليات لا تنشر عادة إلا بعد مضى مدة تصل إلى عشر سنوات ولكن البعض من المحررين العسكرين بما لديهم من وسائل كثيراً ما يتمكنون من الحصول على بعض المعلومات الصحيحة فينشرونها فى كتب بعد أن يضعوا لها ديباجة لإلباسها ثوب التشويق والإثارة. ومن بين الكتب التى صدرت وتحدثت عن الثغرة كتاب.

والذى تحدث فيه ستة محررين من صانداى تايمز عن معركة الثغرة من وجهة النظر الإسرائيلية، ولم تخرج الفكرة التى نشروها عما حاولت أن أستنتجه ودونته قبل ذلك بعد أن استقيته من أسلوب التفكير العسكرى الإسرائيلى.

وفيما يلى مقتطفات مما نشر فى هذا الكتاب عن الثغرة أو ما أطلقوا عليه معركة المزرعة الصينية.

«كانت فكرة شارون تتلخص فى استخدام أحد لواءاته فى جذب انتباه المصريين بعيداً فى الوقت الذى يقوم فيه لواء آخر بالسيطرة على الطريق المتجه جنوباً من الطاسة إلى البحيرة المرة العظمى. هذا الطريق يتصل بطريق القتال الرئيسى على مسافة بضع آلاف من الياردات من الوصلات التى تؤدى إلى نقطة العبور المختارة. وتعرف منطقة هذه الوصلات باسم المزرعة الصينية لأنه قبل حرب الستة أيام بمدة كان الخبراء الصينيون يجرون بعض التجارب الزراعية فيها، وإذا تمكن شارون من السيطرة على الطريق وهذه الوصلات سيكون فى مقدوره دفع المهندسين العسكريين والمعابر المتحركة والمظليين لتأمين المعبر - ومعهم لواء مدرع جديد ليعبر ويقاتل على الضفة الأخرى، وبعد أن ينجح المهندسون فى تعبير عدد من الدبابات على المعديات يقومون بإنشاء كوبرى على القناة، وكان التوقيت الذى حدد للعملية هو الغسق من يوم الاثنين. وكان المفروض أن تعبر أولى عناصر المظلات قناة السويس فى قوارب من المطاط الساعة ١١ مساءاً. وهذا يعنى أن أمام القوة المدرعة خمس ساعات لتقطع فيها مسافة ٢٥ ميلاً خلف خطوط العدو وتقاتل قتالاً ليليًا ثم تتصل بالمهندسين وتقودهم بالمظليين عبر المعبر. وكان جزء كبير من الطريق يمر بكثبان رملية - ويندر أن تتمكن الدبابات المتحركة ليلاً من التحرك بسرعة تزيد عن خمسة أميال فى الساعة.

وفى الخامسة مساءاً قام لواء مدرع تمركز شمال طريق الطاسة البحيرات بتوجيه هجوم مضاد فى اتجاه الغرب - فى اتجاه الإسماعيلية وكان هجوما خداعيًا: ولقد قوبل بمقاومة عنيفة من القوة الرئيسية للفرقة ٢١ المدرعة المصرية.

بعد ذلك بساعة تحرك اللواء المدرع الثانى جنوباً. وفى جنح الظلام

انحرف غربًا تجاه البحيرات، وبوصوله إلى الطريق اتجه شمالا تؤمنه البحيرات من الجانب الأيسر.

وتم تقسيم القوات إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول (بقوة حوالى لواء مدرع) يندفع في اتجاه الشمال الشرقى ليبعد القوات المصرية عن الطريق الأسفلت، والقسم الثانى يندفع شمالاً ليدفع قوات اللواء ١٦ مشاة شمالاً، والقسم الثالث يندفع فى اتجاه مكان العبور المخطط.

وقوبلت الهجمات بمقاومة عنيفة من المصريين. وكان معنى ذلك أن تقاطع الطريق غير مؤمن التأمين الكافى. وحتى ذلك الوقت اختلت توقيتات العملية بشكل خطير - وفى منتصف الليل أمكن الاتصال بالمظليين الذين استولوا على النقطتين القويتين بالدفرزاور شرق. وحوالى الساعة ١٠٠ يوم ١٦ أكتوبر تمكنت مجموعة من ٢٠٠ رجل من العبور إلى الدفرزوار غرب. ولم يجدوا أحداً هناك على الضفة الغربية وكانت المشكلة خلفهم على الضفة الشرقية إذ كانت الوصلة التى طولها حوالى ٢,٥ ميل تغطيها نيران المدفعية المصرية فى عنف وشدة. وكانت قوة من المظاليين قد أبرت لتأمين تقاطع الطرق لتقدم المعدات الثقيلة ولكنها تعرضت لهجوم مضاد من المشاة المصرية المزود بالصواريخ المضادة للدبابات والقواذف الخفيفة المضادة للدبابات. وفى الوقت نفسه كانت تدور معركة رئيسية بالدبابات على بعد بضعة آلاف من الياردات شمال وشمال شرق التقاطع.

ولم تتحقق أهداف العملية: فحتى الفجر لم يكن الكوبرى قد أنشئ، بل لم تتمكن القوات الإسرائيلية من تأمين وصلات الطرق المؤدية إلى المعبر، وتعرض الهجوم الذى شنه اللواء المدرع شمالاً لمقاومة شديدة ووقع تحت نيران كثيفة من المدفعية المصرية وبدأ يظهر أن الأمر سيستغرق يومى

قتال آخرين، وفى ليلة ١٦ أكتوبر شن المصريون هجومًا مضادًا ودارت معركة عنيفة فى المزرعة الصينية، وكاد هذا الهجوم المدعم بالقوات الجوية أن يقضى على قوى العبور الإسرائيلية، وأصبح الأمر قاب قوسين أو أدنى ويتم قطع رأس الجسر الإسرائيلى عن باقى القوات. ولم ينقذ الموقف إلا وصول قوات مدرعة إسرائيلية جديدة بقيادة برن، وتمكن جزء منها من العبور وتأمين رأس الكوبرى فى الدفرزوار.

ومع أول ضوء بدأت المدفعية المصرية تقصف الوصلات ورأس الشاطىء الشرقى كان اللواءان المدرعان الإسرائيليان اللذان بدأ العملية يوم الاثنين لازالا يقاتلان معركة غاية فى الشراسة.

وبكل المقاييس العسكرية المعروفة كانت محاولة أريك شارون إنشاء رأس كوبرى مأساة ومخاطرة معينة. فمع أنه بدأ هجومه بما يساوى فرقة مدرعة فلم يتمكن خلال معركة ١٦ ساعة إلا من عبور ما لا يزيد عن كتيبة مدعمة بعدد من الدبابات المحددة، ولم يكن هناك كوبرى قد أنشىء ونتيجة قصف المدفعية فشل المهندسون عدةمرات فى إنشاء الكوبرى وتأخر إنشاؤه أكثر من ١٢ ساعة. وإذا نظرنا إلى كمية النيران التى ألقتها المدفعية المصرية على المثلث الطاسة ـ البحيرات ـ الإسماعيلية فإن الموقف لم يكن يعطى أى بادرة أمل فى النجاح».

وكما قال الفريق الجمسى: «ورأت القيادة العامة أن الموضوع لا يمكن تركه للقائد المحلى وإنه يجب أن يعالج على مستوى القيادة العامة، أن الهجوم على دبابات العدو المتسللة بقوات احتياطينا فى الغرب لم يفلح.. الهجمات كانت ضعيفة. وقررت القيادة العامة عدم العمل بقوات صغيرة. وصدر الأمر باستخدام لواء بالكامل لتدمير العدو وتم حشد نيران المدفعية ضد العدو فى منطقة التسلل، وهاجم الطيران ابتداء

من الصبـاح ولكن مقاومتنا لم تنجح لأن دبابات العدو الثلاثين التى تسربت تفرقت فى المنطقة الصحراوية الجبلية فى عدة اتجاهات.. وكانت لها حماية طبيعية.. ولم يكن من السهل تدميرها فى هذه الظروف.. ولقد قاتلت القوات المصرية المهاجمة قتالاً باسلاً.. واستشهد قائد كتيبة، وقائد لواء وقائد فرقة فى الهجوم الذى تقرر يوم ١٧ أكتوبر».

وعلى الرغم من نجاح العدو فى تدمير موقعين للصواريخ فقط حتى مساء ١٦ أكتوبر إلا أن الموقف لم يكن خطيراً لا يمكن السيطرة عليه. فلقد استمرت المدفعية المصرية طوال ليلة ١٦ - ١٧ أكتوبر تصب حممها على العدو المتسلل لدرجة لم تشهدها أى معارك فى الشرق الأوسط حتى فى الصراع البريطانى الألمانى فى شمال أفريقيا.

ويصف كتاب كيبور الموقف يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر وما بعده فى عدة أماكن فيقول:

«وعندما حل يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر كانت المعركة ما تزال مستمرة فلقد تعثرت القوة المدرعة الإسرائيلية التى بدأت منذ ٤٨ ساعة تهاجم الموقع ومنيت بخسائر فادحة، وعندئذ تقرر اللجوء لوحدات المشاة والمظليين للقضاء على الأسلحة المضادة للدبابات».

(كيبور)

وبينما كانت مدرعات شارون تعمل على توسع رأس الجسر كانت فرقة المدرعات برئاسة الجنرال برن تواصل تقدمها نحو نقطة العبور. ولم يكن ذلك رأس جسر وفقاً للعبارة التقليدية. وذلك لأن محاور الحوكة لم تكن قد ذللت بعد بصورة كاملة.. كما كان المحور الشمالى فى متناول الدبابات المصرية أما المحور الجنوبى فكان يتعرض لقصف مدفعى متصل من جانب المصريين». (كيبور)

«وإذا كان الجزء الأكبر من فرقة برن لم يعبر القناة بسرعة فهذا يرجع إلى أن المصريين شنوا هجوماً مضاداً كان يسحق رأس الجسر الذى أقامته وحدات المظلات على الجانب الآخر». (كيبور) «وبينما كنا نقوم بتركيز قواتنا على الشاطىء الغربى تعرضنا لقصف مدفعي لم نشهد له مثيلاً فى حياتنا، فلقد وجه المصريون نحو رأس الجسر قوة النيران التى كانت متاحة لهم فى القطاع». (كيبور)

«وعندما وصلت إلى الجسر أدركت أنها مذبحة، فلقد شاهدت عشرات من رجالنا مبعثرين قتلى». (كيبور)

من هذه العبارات التى وردت متناثرة فى كتاب حرب عيد الغفران (كيبور) يتضح مدى ما تعرض له العدو الإسرائيلى من ضرب خلال إنشائه للجسر. ولقد التقطت ١٠٠ محادثة بين القائد الإسرائيلى والقيادة العليا يطلب فيها إلغاء العملية لجسامة الخسائر التى تكبدها، وترد القيادة العليا ترجوه الثبات وتقول له أن مستقبل إسرائيل متوقف على نجاح هذه المغامرة.

ويتابع الفريق الجمسى حديثه عن الثغرة فيصف الهجوم المضاد الذى تم لتدمير قوات الثغرة والإحاطة بها قائلاً:

«كانت خطة القيادة العامة تتلخص فى حصار الثغرة وحصرها فى أضيق مساحة من الأرض فى الغرب وسرعة تدميرها، وفى الوقت نفسه قفلها من الشرق حتى لا تتدفق قوات العدو. وتقرر أن يهاجم الجيش الثانى جنوباً والجيش الثالث شمالاً لسد الثغرة من الشرق وقطع خطوطها وبذلك يقع العدو فى المصيدة».

ويتابع الفريق الجمسى حديثه قائلاً: «تقدمت قوات الجيش الثانى جنوباً وتقدمت قوات الجيش الثالث شمالاً وبلغت المسافة بينهما ٤

كيلومترات فقط ولكنهما لم يتمكنا من الالتقاء. لقد استمات العدو لتأمين مرور قواته شمالاً وجنوبًا وكان القتال رهيبًا استخدمت فيه كل الأسلحة. وهكذا استطاعت قواته يوم ١٧ أكتوبر أن تنفذ بأعداد أكثر إلى الغرب. ولكن القتال الرهيب استمر ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠ أكتوبر تكبد خلالها العدو خسائره فى الحرب كلها».

(من حديث نشر فى جريدة أخبار اليوم)

حاول العدو بعد نجاحه فى التسلل غربًا أن ينتشر شمالاً وجنوبًا وخاصة بعد أن تمكن من إيقاف هجماتنا المضادة ولكن الجيش الثانى الميدانى نجح فى منعه من الاقتراب من الإسماعيلية وأوقف تقدم العدو الإسرائيلى، وعدل من أوضاع قواته بما يحقق تحديد انتشار العدو وإيقاف تقدمه شمالاً وغربًا ونجح فى ذلك تمامًا.

عند ذاك فكر العدو فى الانتشار جنوبًا وهنا دفع الجيش الثالث باحتياطياته لإيقاف تقدم العدو وحدثت معارك رائعة فشل فيها العدو فى تطوير هجومه. وفى ٢٢ أكتوبر أعلن وقف إطلاق النار، واستغل العدو هذا الموقف فتسلل ببعض مفارزه المدرعة الصغيرة ووصل إلى طريق القاهرة السويس وقطع طريق الإمداد والتموين عن قوات بدر (فرقتين من الجيش الثالث الميدانى).

وتمكنت القيادة المصرية من تعديل أوضاع قواتها ودفع احتياطياتها بالشكل الذى أحاط بقوات العدو الإسرائيلى وبدأت تعد العدة لتدميرها ووضعت لذلك خطة أعلن عنها الفريق الجمسى باسم «الخطة شامل».

بعد ذلك بدأت معركة جديدة استمرت حتى توقيع معاهدة الفصل بين القوات، وكانت هذه المعركة استنزافًا دمويًا للعدو الإسرائيلى الذى أخذ يئن تحت وطأة الضربات النيرانية للمدفعية المصرية والدبابات.

وبدأت المحادثات عند الكيلو ١٠١ بهدف إنقاذ الموقف من التدهور في الشرق الأوسط بوساطة من وزير الخارجية الأمريكي الدكتور كيسنجر. وخلال هذه المفاوضات لم يتوقف القتال. وفي النهاية قبلت إسرائيل الانسحاب من الضفة الغربية وبقاء رؤوس الكبارى المصرية كما هي. وتم فصل القوات. وانتهت مرحلة من مراحل الصراع من أجل تحرير الأرض المغتصبة ومصر منتصرة. وأثبتت القوات المسلحة المصرية أنها قادرة على تلقين العدو الإسرائيلي درساً لن ينساه وانتهت أسطورة أن جيش الدفاع الإسرائيلي جيش لا يقهر.

خاتمـــة

دروس من حرب أكتوبر رمضان ١٩٧٣

بعد أن توقف القتال واتفقت الأطراف على فصل القوات بدأت المحافل العسكرية المختلفة فى دراسة نتائج حرب أكتوبر ومدى تأثيرها على الأفكار الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية. لقد أحدثت هذه الحرب هزات عنيفة بين الدوائر الفكرية العسكرية. وبدأت المدارس العسكرية المختلفة تتقرب من مصر وسوريا للتعرف على الدروس المستفادة من هذه الحرب. وقام كبار الاستراتيجيين والعسكريين من أمثال الجنرال بوفر بزيارة الشرق الأوسط للتعرف على وجهات النظر المختلفة وتبادل الخبرات والآراء. وألقى الجنرال بوفر عدة محاضرات يشرح فيها وجهة نظره إزاء هذه الحرب. وفى يقينى أن خير ما أختم به هذا الكتاب هو الحديث عن الدروس التى استخلصها المعلقون والمفكرون العسكريون وخاصة من المعسكر الغربى لنفهم كيف يفكر العالم وبالتالى كيف يفكر عدونا الذى يدين بعقيدته العسكرية للمدرسة الغربية.

درس عن المخابرات والاستطلاع:

تكاد تجمع كل المصادر على أن أجهزة المخابرات الإسرائيلية والأمريكية تمكنت من رصد كل الاستعدادات العسكرية المصرية والسورية لشن الحرب. ففى السنوات الثلاثين الأخيرة أحرزت وسائل الاستطلاع الجوى تقدماً مذهلاً جعل من المستحيل أن يتمكن جيش من إخفاء مثل هذه الاستعدادات الضخمة عن التصوير الجوى ووسائل الاستطلاع الإلكترونى والرادارى والأقمار الصناعية التى أصبحت تسبح فى الفضاء الخارجى لا تمتد إليها أى وسائل دفاعية لتسقطها أو تمنعها من الاستطلاع. ويكفى

لأبين كم أصبحت عليه هذه الوسائل من دقة أن شركة من شركات إنتاج كاميرات تعرضت لقضية رد شرف لأنها نشرت صورة التقطتها إحدى طائراتها أثناء رحلة تصوير جوى من ارتفاع ٣٠ كم فاتضح أنها لزوجة ضابط أمريكى بإحدى القواعد الأمريكية بأسبانيا فى أحضان زميل له على سطح فيلا. واعتبر الضابط أن تلك الصورة تشهير به فطالب بمليون دولار رد شرف. وهذا يوضح مدى دقة التصوير الذى أمكنه تمييز تفاصيل إنسان التقطت له صورة من هذا الارتفاع الشاهق.

ومع كل هذا التقدم المذهل أمكن للعرب تحقيق مبدأ هام من مبادىء الحرب وهو المفاجأة. ويرى المفكرون العسكريون الأجانب أن الأسباب التى أدت إلى ذلك هى:

١- أن حجم المعلومات التى تقوم إدارة المخابرات والاستطلاع بأى دولة كبيرة جداً ومتنوعة. ويرى بعض المعلقين أن المشكلة التى تواجه القوات المصرية أساساً هى معالجة هذا الحجم الضخم المتنوع من المعلومات والاستفادة منها وذلك فى الوقت المناسب.

٢- أن التقدم العلمى الذى أحرزته وسائل المواصلات ومركزية اتخاذ القرار على المستوى العالى قللت إلى حد كبير من القاعدة التى ستعلم بهذه المعلومات وبذلك أصبح من الممكن حدوث تأخير بالنسبة للمنفذين قد يكون ذا أثر ضار على سير الحرب وخاصة فى مراحلها الأولى.

٣- وعلى ذلك فرغم هذا التقدم المذهل فى وسائل المواصلات الحديثة ووسائل الاستطلاع إلا أن المفاجأة ممكنة الحدوث ولا يمكن لأى طرف أن يتجنبها.

الهجوم والدفاع:

يرى المعلقون أن حرب أكتوبر قد أوضحت أو أضاءت الطريق إلى

أنسب استراتيجية فى وقتنا الحاضر وهى استراتيجية الهجوم الاستراتيجى الذى يرتبط بدفاع تكتيكى.

أن المقاومة بين هذه الحرب الأخيرة والحروب السابقة توضح المزايا التى يمكن تحقيقها بتوجيه هجوم استراتيجى مفاجئ أى توجيه الضربة قبل أن يتمكن العدو من جذب قواته لمواجهة الموقف بالأسلوب التقليدى القديم. وليست سرعة ومدى الأسلحة الحديثة هى التى تحقق المزايا التى يمكن اكتسابها من الضربة الابتدائية (الأولى) فحسب بل أنه لمن المؤكد أن آثارها. ففى الأيام الأولى من حرب أكتوبر تمكنت القوات المسلحة المصرية والسورية من الحصول على مزايا كثيرة نتيجة نجاح الضربة الأولى الاستراتيجية ولم تتمكن إسرائيل رغم الدعم الضخم الذى قدمته لها الولايات المتحدة الأمريكية من أن تمحو آثار هذه الضربة حتى بمغامرة الثغرة المعروفة.

ويقول بعض المعلقين العسكريين أن توجد حقيقة أثبتتها حرب أكتوبر مؤادها أنه يصعب إلى حد كبير حرمان القائم بالهجوم الأول من ميزة استيلائه على أرض استولى عليها نتيجة الضربة الاستراتيجية المفاجئة الناجحة، وأن القيام بضربة مضادة للحصول على كسب فى مقابل الخسارة التى تحملها المدافع لعمل توازن ما لن تكون لها مثل ثمرة الضربة الأولى. ويبدو أن هذا هو ما كان يجول فى التفكير المصرى منذ البداية. وأنه لعدد من الأيام، ليس بقليلو تمكن المصريون من إجبار القوات الإسرائيلية على توجيه هجمات تكتيكية مضادة فاشلة كلفتها خسائر جسيمة.

الدفاع الثابت والدفاع المتحرك:

يحاول بعض العسكريين الغربيين أن يصور الموقف لو أن إسرائيل على

جبهة القناة كانت تدافع بأسلوب آخر قد يكون بنظرية الدفاع الثابت أى بالاحتفاظ بقوات كبيرة (الجزء الأكبر من قوات النسق الأول) فى الدفاع بخط بارليف وتقليل حجم الاحتياطيات (أو النسق الثانى) .

ويتساءلون عما تكون عليه نتيجة الحرب لو كان الأمر كذلك ؟ ولكنهم نسوا شيئًا هامًا وهو أن مواجهة قناة السويس تزيد عن ١٥٠ كم وأنه لا يمكن أن يدافع عنها بقوة فى كل مكان . وإذا كانت الحرب قد أظهرت شيئًا فى هذا المجال فلقد أثبتت فشل الخطوط الحصينة ، إذ تمكنت القوات المصرية خلال ٣٦ ساعة من اقتحام القناة والوصول إلى عمق مناسب والتخندق للتمسك بالأرض وصد الهجمات المضادة الإسرائيلية .

والدرس الذى يمكن الخروج به من ذلك هو أنه كان لزامًا أن يتم تجميع الاحتياطيات خلف الخط الحصين وبالقرب منه وليس على عمق كبير كما حدث (هكذا يقول الخبراء العسكريون الغربيون) وأن كان تطبيق هذا الرأى لم يكن فى مقدور ولا فى صالح إسرائيل إذا كان يتعين عليها أن تحتفظ بقوات كبيرة وفى درجة استعداد عالية وهو ما لا يتحمله الاقتصاد الإسرائيلى لفترة طويلة .

دور المدرعات:

أن تاريخ الدبابة يحدثنا عن قصة مثيرة ترمى إلى اختراع مركبة قادرة على اختراق الخنادق المحصنة وهو ما كان يهدف إليه دور الفرسان المدرعة . وخلال فترتين أو فرضتين بدا أن هذه المحاولة تحققت خلال النجاحات الألمانية فى الفترة ما بين عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤١ (وذلك على الرغم من القول بأنه لو كان هناك دفاع قوى منظم لما حدثت هذه الانتصارات) وخلال حرب الستة أيام كما يدعى بعض المعلقين الغربيين . ولكن بدأت العقيدة العسكرية الغربية تشك فى قيمة ومكانة الدبابات لهذا الدور منذ

عـام ١٩٤٣ويبـدو أن حـرب أكـتـوبر ١٩٧٣ قـد بدأت تزيد من هذه الشكوك.

إن جوهر حرب المدرعات هو الحركة وحرية المناورة. إن الدبابة تعتمد على عدم وجود سلاح قوى قادر على إيقافها. ففى الماضى أما أن الأسلحة المضادة للدبابات لم تنتج بالعدد الكافى ولم تكن ذاتية الحركة (كما هو الحال بالنسبة للمدفع المضاد للدبابات) أو أنها قاست من قصر المرمى (كما هو الحال بالنسبة للبازوكا والبيات وغيرها من القواذف المضادة للدبابات). ولما تطورت الصناعة إلى إنتاج صاروخ موجه مضاد للدبابات رخيص نسبياً يمكن لفرد واحد أو عدد محدود من الأفراد أن يستخدموه ويتميز بطول المرمى أصبحت الأسلحة المضادة للدبابات قادرة على مواجهة الدبابات بنجاح. هذا إلى جانب أن الأسلحة الجديدة أصبحت قادرة على تحييد خفة حركة الدبابة وذلك لأنها موجهة وبذلك يمكن السيطرة على مسارها فى الجو (على خط المرور). وكنتيجة فكل المحاولات التى تمت لاستخدام الدبابة فى دور الفرسان - الاختراق ثم التطوير - فشلت نتيجة المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات ونجاحها فى حرب أكتوبر. ولذلك تحتم الاحتفاظ بالدبابات فى العمق واستخدامها بحذر، وأصبح دورها الرئيسى (من وجهة النظر الإسرائيلية على الأقل) هو القتال ضد المدرعات وكمدافع متجولة تطلق نيرانها على حشود من القوات من خارج مرمى المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات.

هذا ويرى الخبراء العسكريون الغربيون أن حرب أكتوبر قد أكدت مدى تعرض القوات المدرعة للقوات الجوية أو تعبير آخر «لا يمكن لأى رجل مدرعات مهما بلغت كفاءته أن يعمل دون غطاء جوى ناجح» وهذا الدرس لم تستوعبه إسرائيل من خبرة الحرب العالمية الثانية ولا من خبرة حرب

الأيام الستة، على الرغم من أن نجاح مدرعاتها في حرب الأيام الستة في الاختراق كان نتيجة حصولها على السيادة الجوية بعد خروج القوات الجوية المصرية من المعركة. ولو قدر الضربة الجوية الإسرائيلية أن تفشل ونجح الطيران المصرى فى تجنب المأساة لما تمكنت المدرعات الإسرائيلية من العمل. ومن خبرة حرب الأيام الستة أن المدرعات الأردنية لم تتمكن من التأثير فى القتال لافتقار الجيش الأردنى للغطاء الجوى. وفى حرب أكتوبر فشلت إسرائيل فى الحصول على السيطرة الجوية ولذلك تعرضت مدرعاتها لخسائر فادحة (كما يدعى الخبراء الغربيون).

ولإلقاء بعض الضوء على المستقبل يقول هؤلاء الخبراء أن دور المدرعات الذى كان معروفًا حتى عام ١٩٦٧ وهو الهجوم والاختراق والتطوير معرض للخطر. ومع ذلك ففى رأيى أن الدبابة ستظل مؤكدة لدورها إذا ما نجحت المدفعية فى حمايتها من خطر المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات وذلك بإسكاتها إسكاتًا مضمونًا ومنعها من إنتاج نيران مؤثرة على الدبابات القائمة بالهجوم. ومن المتوقع أيضًا أن يحدث تطوير جديد للدبابات يهدف إلى زيادة سرعتها وخفة حركتها، بل إن البعض يصل فى تصوره إلى أنه سيحل محل الدبابة مركبة قتال جديدة أكثر خفة حركة وأعلى سرعة تحرك وأقدر على المناورة من الدبابة الحالية.

مستقبل القوات الجوية:

فى هذا المجال توجد ثلاث ملاحظات:

١- ضاعت آمال إسرائيل التى كانت قد علقتها على كفاءة طياريها فى التغلب على وسائل الدفاع الجوى المصرية، بل لقد أدى ذلك إلى ضياع خبرة طياريها فلقد نجحت الصواريخ سام بجميع أنواعها وخاصة سام ٦ وسام ٧ بفضل رجال الدفاع الجوى المصرى فى منع الطيران الإسرائيلى

من تأدية مهامه بنجاح. وبالرغم عن الآمال العريضة التى علقتها إسرائيل على الصاروخ الأمريكى شرايك (جو - أرض) ضد قواعد الصواريخ سام ٢ وسام ٣ فلقد فشل هذا الصاروخ نتيجة خبرات اكتسبها رجال الدفاع المصرى لمواجهة هذا السلاح، كما أن تأثيره ضد الصواريخ الخفيفة الحركة سام ٦ وسام ٧ كان مشكوكًا فيه. هذا إلى جانب أن الشوشرة والأعمال الإلكترونية المضادة أصبحت غير ناجحة لعوامل كثيرة منها إمكانية توجيه الصواريخ المضادة للطائرات بصريًا أو بالأشعة التحت حمراء وكلها لا يمكن الشوشرة عليها.

ومن جهة أخرى يرى الخبراء العسكريون الغربيون أن الإسرائيلين لم ينجحوا فى إحباط أو منع الضربات الجوية المصرية والسورية. فلقد نجحت القوات الجوية المصرية والسورية فى تنفيذ معظم مهامها القتالية.

ويمكن القول بأن القنابل التليفزيونية وتلك التى توجه بأشعة الليزر ستمكن الطائرات من تفادى تأثير الأسلحة الجديدة المضادة للطائرات إلى حد كبير، وستمكنها من مهاجمة الأهداف البرية من على ارتفاعات عالية. ولهذا يرى البعض أن دور القاذفة المقاتلة قد انتهى. فلقد أصبحت حريتها فى العمل مهددة بأخطار جسيمة. وفى المستقبل ستصبح القوات البرية قادرة على حماية نفسها من الضربات الجوية التى توجهها القاذفات المقاتلة لها. ويرد الخبراء العسكريون الغربيون على ادعاءات إسرائيل بنجاح طيرانها (القاذفات المقاتلة) فى تنفيذ مهامها بعد ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ بأن هذا القول إن فرضت صحته كان فى منطقة الثغرة نتيجة تعرض عدد من قواعد الدفاع الجوى المصرى للتدمير أو التعطيل ولو كان لدى مصر عدد كبير من الصواريخ سام ٦ المجنزرة لما تمكنت إسرائيل حتى من عمل الثغرة.

٢-يقول الخبراء العسكريون الغربيون أيضًا بأن حرب أكتوبر قد دعمت الشك فى أهمية الطائرات ذات السرعات العالية جدًا.

ففى السنوات الأخيرة سمع العالم عن الطائرات السوفيتية ميج ٢٣، ميج ٢٥ والتى أدعت بعض المصادر بوجودها فى مصر وسوريا للقيام بأعمال استطلاع فوق سيناء وإسرائيل. وقيل أن هذه الطائرات بقدرتهاعلى الطيران على ارتفاع يصل إلى ٨٠٠٠ قدم تصبح على هذا الارتفاع غير فعالة ضد الأهداف الأرضية. وإذا ما هبطت على ارتفاعات منخفضة قلت سرعتها بدرجة كبيرة. وهنا تظهر أهمية المناورة وتفوقها على الارتفاعات العالية بعد أن حلت الأقمار الصناعية مشكلة الاستطلاع. وبدأ يظهر تساؤل أو شك فى أهمية سرعة الطائرة وعما إذا كان يخدم هدفًا مفيدًا. فمن المعروف أن الفانتوم ف ٤ هي أحسن قاذفة مقاتلة فى العالم، وأن هذا التفوق ظل يلازمها لمدة ١٨ عامًا، وأن عيبها الوحيد فى نظر الخبراء هو انخفاض سرعتها النسبى.

٣-وأخيرًا يرى الخبراء العسكريون الغربيون أن حرب أكتوبر قد أثبتت أهمية طاقة أو قدرة النقل الجوى، إذا ما تطلب الأمر تدخلاً سريعًا وفعالاً من إحدى القوتين الأعظم هنا أو هناك خارج أراضيهما.

٤-ويرى الجنرال بوفر رئيس معهد الدراسات الاستراتيجية الفرنسية أن القوات الجوية إذا ما استخدمت وتوفرت لها الحماية الكافية فإنها تستطيع أن تحافظ على قوتها لدى الجانبين، وهذا من شأنه أن يمنع أى من الجانبين من تحقيق تفوق جوى حقيقى.

إن الطريق للحصول على تفوق جوى طريق طويل شاق ويستغرق وقتًا طويلاً لأن كفاءة القاذفات فى تدمير الطائرات على الأرض بالمطارات أصبحت أقل بكثير عما كان الأمر عليه فى الماضى إذا لم تكن هذه القاذفات تتعرض لخطر كبير أثناء تنفيذها لمهامها.

مكانة المشاة:

يرى الخبراء العسكريون الغربيون أن حرب أكتوبر قد أثبتت أن الأسلحة التى كانت تتفوق فى أرض المعركة وهى الدبابة والطائرة أصبحت قابلة للانثلام (معرضة) للأسلحة التى دعمت بها المشاة وهى أسلحة المدفعية مثل المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات وأسلحة الدفاع الجوى المحمولة مثل سام ٧ ورد آى، وكلها أسلحة محمولة يعمل عليها أفراد قلائل. ويرون أن الخطأ الذى تسبب لإسرائيل فى هذه النكبة هو أنها خلال الست سنوات الماضية أهملت تطوير سلاحين مقاتلين رئيسيين وهما المشاة والمدفعية. ونرى أن ظهور أسلحة المدفعية المتطورة التى تدعم بها الوحدات والوحدات الفرعية من المشاة والتى ستدخل فى تنظيم المستويات المختلفة منها ستحدث تطوراً فى التكتيك وستعيد إلى الخدمة الجندى الميكانيكى ليقف جنباً إلى جنب مع الدبابة إن لم يتفوق عليها.

التدمير ضد المناورة:

قال ونستون تشرشل أن الحروب تكسب المذابح أو بالمناورة. ويعتمد التساؤل بالنسبة لحرب ما إلى أى نوع ينتمى على عوامل كثيرة تكنولوجية واجتماعية ونفسية. فحرب الأيام الستة كانت حرب حركة فالكثير من الوحدات المصرية لم تر العدو الإسرائيلى ولم تشتبك معه إنما وجدت نفسها تنسحب بأوامر القيادة العليا دون علم بمجريات الأمور حولها. وبالنسبة لحرب أكتوبر ومع استبعادنا للحركة المسرحية الإسرائيلية وهى الثغرة يمكن القول بأنها تنتمى إلى النوع الثانى. فلا يوجد اختراق عميق أو أعمال تطويق واسعة، وإنما شوهد اقتحام لمانع مائى قوى وتدمير لخط حصين ولقوات تدافع عنه، وتدمير لحشود من الدبابات فى المعارك متلاحمة انتصر فيها المقذوف الموجه المضاد للدبابات

على الدبابة م ـ ٦٠ الأمريكية. لقد تغلب التكتيك على الفن التعبوى والاستراتيجية وتفوق الاستنزاف على الحركة والتدمير على المناورة. لهذا يرى الخبراء العسكريون أن حرب أكتوبر قد قدمت للتطور فى العلوم العسكرية أكثر بكثير مما قدمته حرب الستة أيام عام ١٩٦٧.

القوات البرية:

يرى الجنرال بوفر أنه كى يكون الدفاع قوياً يجب أن تتوفر له كثافة أكبر فى الأسلحة المضادة للدبابات وعمق أكبر. وهذا أمر يصعب تحقيقه فى حالات كثيرة. وأن تحقيق الثبات للدفاع يعوض التأخير فى وصول الاحتياطيات.

كما يرى أن المهاجم لابد أن يكون على علم ودراية بما هو مقدم عليه، وأن يكون رد فعله سريعاً وحاسماً، وهذا يتطلب مواصلات جيدة وسيطرة ممتازة.

وهو ينادى بلا مركزية السيطرة وإعطاء المبادرة للقادة الأصاغر حتى يمكنهم التصرف طبقاً للموقف.

ويرى أن العمليات الليلية ستكون السمة السائدة فى المستقبل ويجب لكى تعمل القوات البرية بنجاح أن يتوفر لها غطاء جيد سواء بالصواريخ أرض جو أو بالقوات الجوية.

وأنه لمن الصعب أن نقدر النتائج الحقيقية التى يمكن للقوات البرية تحقيقها فى حالة عدم توفر غطاء جوى مناسب لها. ولكن هذا لا يمنع من الإصرار على تنفيذ المهمة إذا ما تعثر الغطاء الجوى لأى سبب من الأسباب.

دروس على المستوى الاستراتيجى:

١ـ نظراً لوجود قوتين أعظم ومع احتمال التهديد بحرب ذرية إذا ما اتسع

نطاق العمليات جعل أى حرب تقوم فى مناطق عديدة من العالم حربًا محدودة سواء من حيث المدة أو الهدف مهما كانت الخسائر الناجمة عنها.

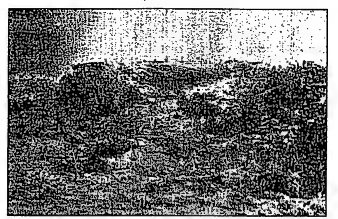
٢- يرى الجنرال بوفر أن أى حرب محدودة هى ظاهرة تجمع بين السياسة والاقتصاد والدبلوماسية والعمل العسكرى. والدور الذى يقوم به العسكريون هو دور من أدوار الأوركسترا التى تعزف سيمفونية الحرب، ولذلك لا يمكنهم أن يقوموا بعزف منفرد. وهذه سمة من سمات الحرب المحدودة فى الوقت الحاضر.

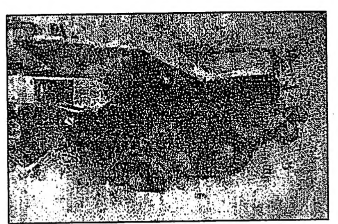
٣- لقد انقذ التدخل الأمريكى إسرائيل من هزيمة كاملة ساحقة فساعدوها بجسر جوى ضخم كما هيئوا لهم الظروف لعمل جسر على القناة كان الهدف منه نفسيًا وليس عسكريًا لأنهم - على حد تعبير بوفر - يعرفون أن قواتهم فى الثغرة ستكون عرضة للتدمير الكامل، ولكنهم بنوا خطتهم على أساس أن وقف إطلاق النار سيحدث نتيجة ضغط عالمى قوى وسيؤدى ذلك إلى تدعيم رأس الجسر الضعيف الذى أقاموه اعتمادًا على الخداع وليس القتال. إن الجانب الإسرائيلى عندما قام بذلك أغفل التوازن الدقيق الذى تنص عليه أسس الحرب المحدودة، فلقد أرادوا أن يحفظوا ماء وجههم نتيجة ما حدث فحاولوا خلق انتصار كاذب ليظهروا أمام العالم بمظهر من استرد كرامته وأن يحدثوا على العرب تأثراً معنويًا قد يؤتى ثمرته فى تفكيك الوحدة العربية التى أحدثها الانتصار المصرى السورى عليهم.

٤- إن سباق التسليح الكمى والكيفى زادت حدته بعد فصل القوات وخاصة من الجانب الإسرائيلى لأنهم أحسوا بقوة العرب وتصميمهم وأنهم أصبحوا معرضين لخطر حقيقى كانوا يعتقدون أنه بعيد الحدوث.

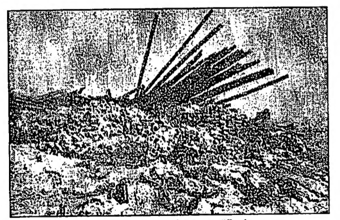
وتطالعنا الصحف اليومية عن زيارات المسئولين الإسرائيليين لواشنطن يطلبون السلاح. وهذا يضع العرب أمام اختبار جديد وخطير إذ يجب عليهم أن يستعدوا دائماً لأخطار جديدة وأن يبنوا قوتهم الذاتية التى تقيهم المفاجآت، وفى مقدورهم ذلك.


سرداب هدمته نيران المدفعية واختنق من بالداخل


آثار ضرب المدفعية فى صحن نقطة قوية



عربة مدرعة دمرتها نيران المدفعية



دشمة تطاير سقفها من ضرب المدفعية

منافذ بيع مكتبة الأسرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم
١١٩٤كورنيش النيل - رملة بولاق
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة
ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠ - ٢٥٧٧٥٢٢٨
٢٥٧٧٥١٠٩ داخلى ١٩٤

مكتبة مركز الكتاب الدولى
٣٠ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت: ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو
١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف
٣٦ش شريف - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى
٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين
مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين -
القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان
١٣ش المبتديان - السيدة زينب
أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو
مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى
الجهاز

مكتبة الجيزة
١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة
ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة
خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى
بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس
ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون
ش جمال الدين الأفغانى من شارع
محطة المساحة - الهرم
مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة ساقية عبدالمنعم الصاوى
الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو
من أبوالفدا - القاهرة

مكتبة الإسكندرية
٩٤ ش سعد زغلول ـ الإسكندرية
ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية
التمليك ـ المرحلة الخامسة ـ عمارة ٦
مدخل (أ) – الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس
مبنى الملحق الإدارى ـ بكلية الزراعة
ـ الجامعة الجديدة ـ الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد
بجوار مدخل الجامعة
ناصية ش ١١، ١٤ ـ بورسعيد

مكتبة أسوان
السوق السياحى ـ أسوان
ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط
٦٠ش الجمهورية ـ أسيوط
ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا
١٦ ش بن خصيب ـ المنيا
ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)
مبنى كلية الآداب ـ جامعة المنيا ـ المنيا

مكتبة طنطا
ميدان الساعة ـ عمارة سينما أمير ـ طنطا
ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى
ميدان محطة السكة الحديد
عمارة الضرائب سابقًا ـ المحلة

مكتبة دمنهور
ش عبدالسلام الشاذلى ـ دمنهور
مكتب بريد المجمع الحكومى ـ توزيع دمنهور الجديدة

مكتبة المنصـــورة
٥ ش السكة الجديدة ـ المنصورة
ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكـتـبـة مـنـوف
مبنى كلية الهندسة الإلكترونية
جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية
مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام
ميدان التحرير ـ الزقازيق
ت : ٠٥٥/٢٣٦٢٧١٠
ت: ٠١٠٠٦٥٣٣٧٣٣٢

طبعة خاصة بمكتبة الأسرة
مطابع الشركة القومية
للطبع والنشر والتوزيع
٩٢ شارع القصر العينى



مطابع الشركة القومية للتوزيع